روايات مصرية للجيب

## ملف المستقبل

سري جداً !!

٥١



# الخلية القاتلة



ملف المستقبل ● الخلية القاتلة ● ٥١ ● المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة ●

## ملف المستقبل
### سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٥١

### الخلية القاتلة

● هل من الممكن أن يتحوَّل الرائد (نور) إلى خائن ؟
● ما سر تلك الخلية الغامضة ، التى كادت تصل بـ( نور ) إلى حافة الجنون ؟
● تُرى .. أينجح ( نور ) فى كشف هذا الغموض ، أم يطبق عليه فخ ( الخلية القاتلة ) ؟
● اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ واشترك مع ( نور ) فى حلِّ اللُّغز .



الثمن فى مصر
ــــــ ص

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : العدو الخفى


نور الدين


سلوى


رمزى


محمود

# ١ ــ الحــادث ..

زحف الضباب فى سرعة ؛ لينسدل على ذلك الطريق المعدّ للقيادة الصاروخية ، والذى يربط العاصمة ( القاهرة ) ، بمدن الوجه القبلى ، مخترقًا سلسلة جبال الصعيد ، التى تمتد من ( أسيوط ) إلى ( أسوان ) ، واشترك الضباب الكثيف مع الظلام الدامس ، فى ليلة غاب فيها القمر ، فى إضفاء جوّ من الرَّهبة والغموض على الطريق ، الذى بدا صامتًا مظلمًا ، ساكنًا ، قبل أن ينبعث من بعيد ضوء مصباحَىْ سيّارة صاروخية حديثة ، تشقّ طريقها من ( الأقصر ) إلى ( القاهرة ) ، فى سرعة تبلغ أربعمائة كيلومتر فى الساعة ، ورجَّعت سلاسل الجبال الممتدَّة على جانبى الطريق صَدى صوْتِ محرِّكها ، على الرغم من خفوته ، فى حين بدا قائدها الشابّ الوسيم هادئًا ، واثقًا ، على عكس زوجته ، التى ارتسم القلق على محيَّاها الجميل ، وهى تقول :

ــ اخفض السرعة قليلاً يا ( نور ) ، لقد كان العرض المسرحىّ ، الذى شاهدناه فى معبد ( الكرنك ) رائعًا ، ولست أحب أن تنتهى الليلة بحادث سخيف .

ابتسم الرائد ( نور الدين ) ، وهو يقول لزوجته ( سلوى ) فى هدوء :

ـــ اطمئنى يا عزيزتى .. لن يحدث ما يخيفك أو يقلقك .

هتفت فى حنق :

ـــ سيدهشنى ألّا يحدث ذلك ، فأنت تنطلق بسرعة مخيفة ، فى حين لا يتجاوز نطاق الرؤية مترًا واحدًا !

ضحك ، وهو يقول :

ـــ يا له من مبرِّر !!.. إن هذا القول ينطبق على سيَّارات القرن العشرين يا عزيزتى ، ولكنه يبدو مضحكًا حينما يتعلَّق بسيَّارة كسيارتنا ، وهى أحدث ما أنتجته تكنولوچيا العام الثامن من القرن الحادى والعشرين .

قالت فى عصبية :

ـــ لا تسخر من مخاوف يا ( نور ) .. أعلم أن الطريق كله يحمل على جانبيه ، ومنتصفه تلك الخلايا الليزرية الصغيرة ، وأن كل السيَّارات الحديثة مزوَّدة بجهاز رادار خاص ، يمكنك بواسطته تجاهل الطريق ، والسير بأقصى سرعة ، دون أن ترتطم بحصاة صغيرة ، ولكننى ، وعلى الرغم من ذلك ، أشعر بالخوف ، فهلاً خفضت السرعة بعض الشىء .



خفض ( نور ) سرعة سيارته . حتى لم تعد تتجاوز الثلثمائة كيلومتر فى الساعة ، وهو يبتسم فى حنان ، قائلاً :

ـــ كما تشائين يا عزيزتى ، ولكننى أراهنك أنه لو كان ( رمزى ) يصاحبنا الآن ، لقال إنك مصابة بالـ ( أوتوفوبيا ) (*) ، وإنك تحملين فى أعماقك بعض مخاوف القرن العشرين .

هزَّت كتفيها ، وهى تقول فى ضيق :

ـــ ربَّما ، ولكن ذلك المزيج من السرعة والضباب والظلام يصيبنى بالخوف دائمًا .

شعر ( نور ) بتوتُّرها ، فقال ليعيد إليها هدوءها :

ـــ هل تعلمين أن والدى ما زال يكره قيادة السيَّارات الصاروخية ، وأنه يؤكِّد أن تلك السيَّارات القديمة ، التى تستخدم ( البنزين ) ، هى أفضل وسائل الانتقال وأمتعها ؟

ابتسمت ( سلوى ) ، وهى تقول :

ـــ يبدو أننى سأزداد إعجابًا بوالدك فى كل مرَّة يا ( نور ) .

ضحك ( نور ) ، وهو يقول :

ـــ إنه رجل رائع بالفعل يا عزيزتى !! فعلى الرغم من أنه قد قضى شبابه كله فى القرن العشرين ، حينما كانت الأزمة الاقتصادية تطحن ( مصر ) ، وتعوقها عن اللحاق

(*) أوتوفوبيا = الخوف المرضى من قيادة السيَّارات .

بركب الحضارة ، إلّا أنه نجح فى التكيف مع التطوُّر الحضارى السريع ، الذى اجتاح ( مصر ) فى منتصف التسعينات من القرن العشرين ، بعد تجاوزها الأزمة الاقتصادية .

خفَّ توتُّر ( سلوى ) بعض الشىء ، وهى تضحك قائلة :

ـــ لقد تقبَّل كل منجزات حضارة القرن الحادى والعشرين ، فيما عدا السيارات الصاروخية .

صمت ( نور ) لحظة ، قبل أن يهزَّ كتفيه ، مغمغمًا فى خفوت :

ـــ ربَّما كان على حق يا عزيزتى ، فعلى الرغم من إنشاء الطرق الخاصَّة للقيادة الصاروخية ، وتغيير قوانين المرور ، بما يتفق مع سرعة القيادة الجديدة ، إلّا أن معدَّل الحوادث قد ارتفع على نحو ملحوظ ، منذ استخدام السيَّارات الصاروخية .

غمغمت ( سلوى ) بدورها :

ـــ ولكنها خفضت نسبة التلوُّث الجوى يا ( نور ) ، فالوقود الذرىّ لا يصدر تلك العوادم ، التى كانت تملأ سماء العالم منذ عشر سنوات و..

بتر عبارتها فجأة صوت ( نور ) ، وهو يهتف فى دهشة وجزع :



ـــ يا إلهى !!

أدارت عينيها فى حركة حادَّة إلى الطريق ، واتسعت عيناها فى رعب ، حينما بدت لها ، وعلى بعد مترين على الأكثر من السيارة ، فتاة جميلة ، تقف فى وسط الطريق ، وترفع ذراعيها مشيرةً إلى السيَّارة ، والذعر يتجلَّى فى ملامحها ..

لم تستغرق رؤيتها لتلك الفتاة أكثر من جزء من الثانية ، فقد كانت السيَّارة تنطلق بسرعة مخيفة ، وكان من المستحيل أن يتفادى ( نور ) الارتطام بالفتاة ، إلاَّ أنه أدار عجلة قيادة سيَّارته الصاروخية فى سرعة إلى اليسار ، وخيِّل لـ ( سلوى ) أنه قد ارتطم بالفتاة ، إلّا أنها لم تشعر بالارتطام ، ولم تغيِّر الفتاة من وقفتها أو إشارتها ، وكأنما لم تلمح السيارة ، أو تشعر بها ..

ومالت السيارة فى قوَّة ، مع ذلك الانحراف المفاجىء ، وصرخت ( سلوى ) فى رعب ، وحاول ( نور ) إنقاذ الموقف ، إلّا أن السيَّارة خرجت عن الطريق فى سرعة ، ودارت حول نفسها فى قوَّة ، ثم ارتطم جانبها الأيسر بسفح سلسلة الجبال الأيسر ، فانقلبت ، ودارت حول نفسها ثلاث مرات على الأقل ، قبل أن تستقر على ظهرها ، وعجلاتها ما زالت تدور فى الهواء ..

وقاومت ( سلوى ) ذلك الدُّوار الذى ألمَّ بها ، وجاهدت لتحلّ حزام الأمان الذى يحيط بكتفها اليمنى ووسطها ، وهى تهتف فى ذُعْر :

ــ يا إلهى !!.. ماذا حدث يا ( نور ) ؟.. ماذا حدث لنا ؟

أجابها صمت مُطْبق ، فأدارت عينيها إلى زوجها فى جزع ، وارتجف قلبها فى رُعْب ، وهى تتطلّع إلى وجهه الشاحب ، وتركَّزت عيناها الملتاعتان على خيط من الدم يسيل على جبهته ، وتتساقط قطراته مكوِّنة بركة صغيرة من الدماء الساخنة ..

وصاحت ( سلوى ) ، وهى تربِّت على وجه زوجها فى ذُعْر ولَوْعة :

ــ ( نور ) .. يا إلهى !!.. ( نور ) .

مرَّة أخرى أجابها الصمت والسُّكون ، وبدا لها جسد ( نور ) باردًا ، جامدًا ، كأنَّه قد لَقِىَ حَتْفَه ، فاتَّسعت عيناها فى رعب ، وردَّدت سلاسل الجبال صدى صرختها الممتلئة بكل الفزع والألم ، والجزع ، والمرارة ، واليأس ، واللَّوْعة !..

صرختها التى تحمل اسم زوجها ..

ثم ساد السُّكون ، وكأنما أظلَّ ملك الموت الطريق بجناحيه ..

* * *



# ٢ ــ الأب والابن ..

ارتفع صوت أقدام مسرعة .. تشق طريقها عبر أحد ممَّرات مستشفى ( أسيوط ) العام ، وبدا مزيج من القلق والجزع فى وجه صاحبها ، وهو يتجه نحو ( سلوى ) ، التى جلست تبكى فوق مقعد مجاور لحجرة العمليات الجراحيَّة بالمستشفى ، قبل أن ترفع وجهها إلى القادم ، وتهتف وعيناها دامعتان :

ــ عمَّاه !.. شكرًا لحضورك بهذه السرعة .. شكرًا لله .

كان القادم يحمل وجهًا شبيهًا بوجه ( نور ) إلى درجة كبيرة ، فيما عدا أنه أكبر عمرًا ، وقد وَخط الشيب فَوْدَيْه ، وخصلة من الشعر فى منتصف رأسه ، أعلى جبهته ، ولقد جلس إلى جوار ( سلوى ) ، وضغط كفها براحته فى رفق ، وكأنما يبثّ فى جسدها بعض الطُّمَأنينة ، التى يفتقدها هو ، وهو يسألها :

ــ ماذا حدث يا بنيَّتى ؟.. كيف وقع الحادث ؟

أسندت جبهتها إلى راحتها ، وهى تقول فى ألم :

ــ لقد كان يحاول أن يتفادى فتاة مجهولة ، ظهرت فجأة أمام السيَّارة ، فى أثناء عودتنا من ( الأقصر ) ، فكان ما كان ..

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى حَنق :

ـ وكان ينطلق بسرعة فائقة بالطبع .. يا إلهى !!.. كم أبغض هذه السيارات الصاروخية .

غمغمت ودموعها تسيل على خدّيها :

ـ لقد كنا نناقش هذا بالذات ، حينما حدث ما حدث .

ربّت الرجل ، الذى لم يكن سوى والد ( نور ) ، على كتفيها فى حنان ، وهو يقول فى حزن :

ـ وكيف هو ؟

هزّت رأسها فى ألم ، وهى تقول :

ـ إنهم يجرون له عملية جراحية ميكروسكوبية عاجلة ، فلقد ارتطم رأسه بجانب السيارة ، ويشكّ الدكتور ( منصور ) فى إصابته بنزيف مُخّى .

تهدّج صوت الأب ، وهو يغمغم :

ـ يا إلهى !!.. رُحْمَاك يا إلهى !!

ساد الصمت بينهما تمامًا ، بعد عبارته الصارعة الأخيرة ، إلّا من نحيب ( سلوى ) المكتوم ، حتى غادر أحد الأطباء حجرة العمليّات ، فتعلّقت عيونهما بوجهه ، وامتلأت نفساهما بالارتياح ، حينما ابتسم ، قائلاً :



ـ لقد نجا .

انخرطت ( سلوى ) فجأة فى بكاء حاد ، فى حين غمغم والد ( نور ) فى ارتياح :

ـ حمدًا لله !! حمدًا لله !!

ثم أسرع يسأل الطبيب فى لهْفَة :

ـ هل يمكننا رؤيته ؟

هزّ الطبيب رأسه نفيًا ، وهو يقول :

ـ ليس بعدُ .. لقد قام الدكتور ( منصور ) بمعجزة ، فقد كان النزيف شديدًا ، وسيبقى الرائد ( نور ) فى حجرة العناية المركَّزة يومًا كاملاً ، قبل أن نسْمَح لكما بزيارته ، ولكن اطمئنّا ، فقد أجرى الدكتور ( منصور ) جراحة رائعة ، أزال بها كل أسباب الخطر .

هتفت ( سلوى ) فى امتنان ، ووجهها مبلّل بدموع الفرح :

ـ وأين هو الدكتور ( منصور ) ؟ .. إننى أدين له بجزيل الشكر ؛ فلقد أنقذ حياة زوجى مرَّتيْن .

تطلّع إليها والد ( نور ) فى حَيْرَة ، فى حين أجاب الطبيب مبتسمًا :

ـ سيبقى مع مريضه بعض الوقت ، ويمكنكما مقابلته فى مكتبه بعد ساعة واحدة .

ثم استدرك ضاحكًا :

ـــ ما لم ينتزعه منكما حادث آخر .

شكرت ( سلوى ) الطبيب فى حرارة ، ولم يكد ينصرف ، وتتنهَّد هى فى ارتياح ، حتى التفت إليها والد ( نور ) ، يسألها فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنين بأن الدكتور ( منصور ) قد أنقذ حياة ( نور ) مرتين ؟

أجابته فى لهجة تحمل كل الامتنان والتقدير :

ـــ لولاه ما وصل ( نور ) إلى المستشفى فى الوقت المناسب يا عمَّاه ، فلقد كان الطريق خاليًا حينما وقع الحادث ، وكنت أنا على حافة الانهيار ، أو فى أعماقه بالفعل ، عاجزة عن حمل ( نور ) ، أو إخراجه من السيَّارة المقلوبة ، وبلغ منى اليأس مبلغه ، حينما ظهرت سيَّارة الدكتور ( منصور ) ، الذى أسرع إلينا ، وعاوننى على إخراج ( نور ) ، وحمله إلى سيارته ، وانطلق بأقصى سرعة إلى المستشفى ، ولولا ذلك لقضى ( نور ) نحبه ، قبل أن يتم إسعافه .

غمغم الأب فى لهجة شاردة :

ـــ يبدو أننا ندين له بالشكر مرتين بالفعل .



ثم سألها فجأة :

ـــ وماذا عن الفتاة ؟

سألته ( سلوى ) فى دهشة :

ـــ أية فتاة ؟

بدا الاهتمام الشديد على ملامحه ، وهو يقول :

ـــ تلك التى كانت سببًا فى وقوع الحادث .

أدهشها أنها لم تنتبه إلى الفتاة ، فى غمرة فزعها وجزعها على زوجها ، وغمغمت فى حَيْرَة :

ـــ لست أدرى !.. إننى لم أرها بعد ذلك .

بدا والد ( نور ) شبيها بابنه ، حينما يواجه لغزًا ما ، وهو يسألها :

ـــ ألم يلتق بها الدكتور ( منصور ) ؟

غمغمت فى دهشة :

ـــ إنه لم يشرْ إلى ذلك .

عقد والد ( نور ) حاجبيه ، وهو يفكِّر فى عمق ، وكادت ( سلوى ) تقسم فى تلك اللحظة أنها تتطلَّع إلى وجه زوجها ، قبل أن يغمغم الوالد فى هدوء :

ـــ حسنًا .. هيًّا بنا يابنيَّتى .. أريد أن أذهب إلى موقع الحادث .

سألته ( سلوى ) فى دهشة :

ــ لماذا ؟

وبنفس أسلوب ( نور ) الغامض ، أجاب الوالد :

ــ مجرَّد فكرة .. فكرة سخيفة ، لا أحتمل الانتظار للتأكُّد منها .

سألته فى حَيْرة :

ــ أية فكرة ؟

أجابها فى صرامة :

ــ فكرة أن ما حدث لم يكن مجرَّد حادث عادىّ ، وإنما هو جريمة .

وأرجفتها كلماته ، وهو يردف فى غضب :

ــ جريمة قتل ..

* * *



# ٣ ــ مسرح الجريمة ..

شعرت ( سلوى ) بالدهشة ، وهى تجلس إلى جوار والد ( نور ) ، فى سيارته الصاروخية ، وغمغمت فى حَيْرة :

ــ عجبًا !!.. كنت أظنك تكره قيادة السيَّارات الصاروخية يا عمَّاه !

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا لا يمنع من أن أمتلك واحدة يا بنيَّتى ، فهى ضرورة من ضرورات العصر ، على الرغم من مَقْتِى لها ، وإلاَّ باتت نصف الطرق مغلقة فى وجهى ، فالقانون يحتِّم ألَّا تقل سرعة السيارة فى الطرق الخاصة للقيادة الصاروخية عن مائتين وخمسين كيلومترًا فى الساعة ، وسيارتى القديمة ، التى أكنّ لها حبًّا خاصًا ، لم تعد تستطيع الانطلاق بهذه السرعة ، فهى تمرّ الآن بطور الشيخوخة ، ولم يعد باستطاعتى العثور على قطع الغيار المناسبة لها ، وسط هذا الخضمّ من منجزات تكنولوجيا القرن الحادى والعشرين .

غمغمت ( سلوى ) ، وهى تستعيد ذكرى الحادث :

ــ للأسف !!

ثم أشارت إلى نقطة قريبة ، وهى تهتف مستطردة :

ــ ها هى ذى سيارة ( نور ) يا عمَّاه .

خفض الوالد من سرعة سيَّارته ، وانحرف عن الطريق الرئيسى ؛ ليتوقَّف إلى جوار سيارة ابنه المقلوبة ، وهبط مع ( سلوى ) من سيارته ، ووقف يتأمَّل المشهد لحظة ، معقود الحاجبين ، قبل أن يقول :

ــ إذن فقد مالت السيَّارة ، وارتطمت بسفح الجبل ، ثم انقلبت مرتين ، قبل أن تستقرَّ على ظهرها .

هتفت ( سلوى ) فى دهشة :

ــ هذا صحيح .. كيف عرفت ذلك يا عمَّاه ؟

ابتسم الوالد فى هدوء ، دون أن يجيب عن تساؤلها ، ثم أشار إلى الطريق ، قائلاً :

ــ من الواضح أن سيَّارة الدكتور ( منصور ) قد انحرفت عن الطريق الرئيسى ، من نفس النقطة التى انحرفت منها سيارتكما ، فكيف لم يلمح الفتاة ؟

عادت ( سلوى ) تكرِّر فى مزيد من الحَيْرة :

ــ كيف تعرف هذا يا عمَّاه ؟

ابتسم الوالد ، وهو يقول فى هدوء :





ووقف يتأمل المشهد لحظة ، معقود الحاجبين ، قبل أن يقول :
ــ إذن فقد مالت السيَّارة ، وارتطمت بسفح الجبل .

— إنه أمر بسيط يا بنيّتى ، فالرمال على جانبى الطريق تحمل آثارًا واضحة .

ثم سألها فجأة فى اهتمام :

— أتجاوز ( نور ) تلك الفتاة المجهولة ، حينما انحرف بسيارته ، أم ارتطم بها ؟

أدهشها السؤال ، فعقدت حاجبيها ، قائلة :

— لا رَيب أنه قد تجاوزها ، فلو ارتطم بها ، وهو ينطلق بهذه السرعة ، لقتلها بلا شك .

سألها الوالد فى شغف واضح :

— وماذا فعلت هى ؟ .. هل صرخت ؟ أو انطلقت تجرى ؟.. أو شىء من هذا القبيل ؟.

اكتنفتها الحَيْرة ، وهى تغمغم :

— لست أدرى .. لقد خيِّل إلىّ أنها لم تبال .. أو حتى تلتفت ناحيتنا ، ولكننى لا أستطيع الجزم بذلك ، فالضباب والظلام كانا ..

قاطعها الوالد فى هدوء :

— إذن فهى لم تتخذ أية ردود أفعال ؟!

هزّت ( سلوى ) رأسها ، وهى تقول :



— لا يمكن الجزم بذلك .

مال نحوها الوالد ، وتطلّع إلى عينيها مباشرةً ، وهو يقول فى هدوء :

— إنها لم تفعل يا بنيّتى ، فالفتاة التى تخاطر باعتراض طريق سيّارة صاروخية ، فى طريق يمرّ عبر سلسلتى جبال ، ولا يوجد منزل واحد على جانبيه ، هى إما مجنونة ، أو تعانى رعبًا هائلًا ، وفى كلتا الحالتين لابد لها من أن تأتى رد فعل حاد وقوىّ ، كأن يتحوّل رعبها مثلاً إلى صرخة فزع ، أو انهيار عصبىّ ، حينما وقع لكما الحادث بسببها ، إلاّ أنها قد اختفت فى هدوء وبساطة ، كأنما قد أتت فعلاً عاديًا .

تطلّعت ( سلوى ) إلى عينيه فى حيرة ، وهى تسأله :

— ما الذى تعنيه بالضبط يا عمّاه ؟

اعتدل الوالد ، وهو يقول فى لهجة غامضة ، بدت لها شديدة الشبه بلهجة ( نور ) :

— لا شىء يا بنيتى .. لا شىء .

ثم تركها فجأة ، واتجه نحو الخلايا الليزرية الصغيرة ، التى تمتد فى منتصف الطريق ، وانحنى يفحصها واحدة بعد الأخرى

فى اهتمام ، فلحقت به ( سلوى ) ، وهى تتلفَّت حولها ، وتقول فى قلق :

— من الخطر أن تفعل هذا يا عمَّاه ، فقد تفاجئك سيَّارة صاروخية و..

قاطعها فى هدوء :

— فلنأمل ألَّا يحدث هذا يا بنيَّتى .

ثم توقف عند خليَّة ما ، من تلك الخلايا الليزرية الصغيرة ، وأولاها مزيدًا من العناية فى فحصه لها ، ثم لم يلبث أن أخرج من جيبه مدية صغيرة ، أخذ يستخدمها فى محاولة انتزاع الخلية ، فهتفت ( سلوى ) فى قلق :

— عمَّاه !! .. إن القانون يعاقب على ذلك بالسجن شهرًا كاملاً ، و..

انتزع الوالد الخلية قبل أن تتم عبارتها ، ونهض وهو يتبسم فى هدوء ، قائلاً :

— ليس بالنسبة لهذا النوع من الخلايا يا بنيَّتى .

تناولت ( سلوى ) الخلية الصغيرة من راحته فى دهشة ، ولم تكد تفحصها حتى وصلت دهشتها إلى حدّ الذهول ، وهى تهتف :

— يا إلهى !!.. ولكنها ..



قاطعها الوالد فى حَزْم وَصَرَامة :

— نعم يا بنيَّتى ، إنها خلية ليزريَّة خاصَّة ، لبث الصور ( الهولوجرافية ) المجسَّمة ، ذات الثلاثة الأبعاد ، والتى تبدو كأنها شخص حىّ ، أو فتاة تعترض الطريق .

هتفت فى ذهول :

— ولكن لماذا ؟

عقد الوالد حاجبيه ، وهو يقول فى غضب :

— كما كنت أقول يا بنيَّتى .. إنها محاولة قتل .

★ ★ ★

« محاولة قتل ؟! » .

هتف الدكتور ( منصور ) بهذه العبارة على نحو عجيب ، وكأنه يخرج كلماتها فى استنكار وتبرُّم ، قبل أن يستطرد فى مزيج من السُخط والضَجَر :

— لماذا يجد البعض متعته فى تعقيد الأمور ، وتدثيرها بثوب يخالف حقيقتها ؟!.. إننى أرى ما حدث مجرَّد حادث سيَّارة عادىّ ، لماذا تحاولون إضفاء صفة الخطورة عليه ؟

أجابه والد ( نور ) فى هدوء :

ـــ لو أن ابنى مجرَّد شابّ عادى لاختلفت الأمور و ...

قاطعه الدكتور (منصور) فى حَنَق :

ـــ مفهوم ... كل الأبناء هم أشخاص غير عاديِّين فى نظر الآباء .. أعلم ذلك .. لقد تحدَّثت الأمثال الشعبية القديمة عن هذا المعنى تقريبًا .

ابتسم والد ( نور ) ، وهو يتذكَّر ذلك المثل الشعبىّ القديم ، وأخذ يتأمَّل الدكتور ( منصور ) فى اهتمام وعناية ..

كان الدكتور ( منصور ) فى منتصف الخمسينات من عمره ، حليق الوجه ، أشيب الشعر تمامًا ، يرتدى منظارًا طبيًّا أنيقًا ، وإن بدت حلته مهملة ، على الرغم من جودة صنعها ، وارتفاع ثمنها ، وكان فى هذه اللحظة يعقد حاجبيه فى تبرّم ، إلَّا أنه لم يلبث أن رفعهما فى دهشة ، حينما أجابه والد ( نور ) :

ـــ معذرة يا دكتور ( منصور ) ، ولكن وضع ابنى يختلف عن هذا المثل الشعبىّ القديم ، فهو ضابط من ضباط المخابرات العلمية ، وله الكثير من الأعداء .

تطلَّع الدكتور ( منصور ) إلى وجه الأب فى دهشة ، بعض الوقت ، ثم لم يلبث أن عاد يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى لهجة تحمل الكثير من الاهتمام :



ـــ فى هذه الحالة يختلف الأمر فعلًا .

ناوله والد ( نور ) الخليّة الليزرية الصغيرة ، وهو يقول :

ـــ بالطبع .. خاصةً لو كان الأمر يتعلَّق بهذه الخلية .

انتفض جسد الدكتور ( منصور ) بغتة ، وسرى فى ملامحه ذعر مفاجئ ، غير مفهوم ، وهو يهتف :

ـــ الخلية ؟!.. أية خليه ؟

أجابه الوالد ، وهو يتطلَّع إلى ملامحه الفزعة فى حَيْرة :

ـــ إنها خلية بثّ ليزريّة ، تُبثُّ صورة هولوجرافية لفتاة تستوقف السيَّارات فى ذُعْر .

زفر الدكتور ( منصور ) فى ارتياح ، وتلاشى ذلك الذُّعْر الذى يملأ ملامحه ، وهو يغمغم :

ـــ آه .. خلية ليزريَّة .. هذا طريف .

هتف والد ( نور ) فى دهشة :

ـــ أى طريف فى هذا ؟

عقد الدكتور ( منصور ) حاجبيه ، وبدا وكأنه سيصرخ بعبارة أخرى ساخطة ، لولا أن انفتح باب مكتبه فى هذه اللحظة بالذات ، واندفع إلى الداخل شابّ وسيم ، بنىّ الشعر والشارب ، هتف فى لهجة من يحمل مفاجأة سارَّة :

ـــ دكتور ( منصور ) .. هل رأيت ما هو أروع من ذلك ؟

كان يحمل صندوقًا من الزجاج الشفّاف ، يقسمه قسمين متساويين ـــ من الداخل ـــ حاجز زجاجى داكن ، وفى كل قسم منهما جرو أبيض صغير ، مبرقش ببقع سوداء متناثرة ، وكان الجروان يبدوان متطابقين إلى حد مدهش ، مما أثار انتباه والد ( نور ) ، فسأل فى دهشة :

ـــ عجبًا !!.. أهما توءمان ؟

حَدَجه الدكتور ( منصور ) بنظرة ناريّة صارمة ، لم يلبث أن نقلها إلى الشابّ ، الذى شحُبَ وجهه ، وارتبك وهو يغمغم :

ـــ كنت أظنّك تتلهّف لرؤيتها يا سيّدى ، و ...

وبتر الشابّ عبارته ، وبدا وكأنه يرتجف أمام نظرات الدكتور ( منصور ) ، الذى قال فى صوت بارد ، شديد الصرامة :

ـــ عُدْ إلى المعمل يا ( حازم ) ، وابْقَ مع ( هشام ) هناك ، وسأحضر لرؤيتهما فيما بعد .



بدا الذعر على وجه ( حازم ) ، وتلعثم فى شدّة ، وهو يتراجع حاملًا الصُّندوق ، ومغمغمًا فى ارتباك :

ـــ كما تأمر يا سيّدى .. معذرةً يا سيّدى .

وأسرع يغادر الحجرة ، كأنّ وحشًا ضاريًا يطارده ، وأغلق الباب خلفه فى قوّة ، ثم ساد الصمت تمامًا داخل الحجرة ، وشابَهُ توتُّر ثقيل ، قبل أن يرغم والد ( نور ) نفسه على الابتسام ، وهو يقول :

ـــ أهى تجربة علميّة جديدة ؟

هتف الدكتور ( منصور ) فجأة فى حِدّة غاضبة :

ـــ ليس هذا من شأنك .

اتسعت عينا والد ( نور ) ، فى مزيج من الدهشة والحرج ، وهو يغمغم :

ـــ إنه مجرّد سؤال تقليدى .

عقد الدكتور ( منصور ) حاجبيه فى شدّة ، حتى بدا فى أشد حالات الغضب ، وهو ينهض من خلف مكتبه فى حركة حادّة ، قائلًا فى صرامة :

ـــ اسمع أيُّها السيّد .. لقد تعرّض ابنك لحادث طريق ، أو لمحاولة قتل .. استخدم اللفظ الذى يروق لك ، هذا لا يعنينى .. لقد بذلت أقصى ما يمكننى من جهد لإنقاذه ،

بدا الذعر على وجه ( حازم ) ، وتلعثم فى شدّة ،
وهو يتراجع حاملًا الصُّندوق .

وأعتقد أننى قد نجحت ، وإذا أردت أن تعبّر عن شكرك وامتنانك لى ، فاعلم أننى أكره إجابة أية أسئلة لا تروق لى ، وأبغض التدخّل فى شئونى .. هل يبدو لك ذلك مفهومًا ؟

كان أسلوبه فظًّا فِجًّا ، مِمَّا أثَارَ ضيقَ والد ( نور ) ، فنهض وهو يقول فى بُرود يشوبه بعض الحَنَق :

ـ نعم يا دكتور ( منصور ) .. إنه يبدو مفهومًا تمامًا .

ثم اندفع إلى خارج الحجرة ، وأغلق بابها خلفه فى قوّة ، ولم ينس أن يهتف ، قبل عودته إلى حيث تنتظره ( سلوى ) :

ـ فلتذهب أنت وتجاربك اللعينة إلى الجحيم .. لقد نجا ابنى ، وهذا هو المُهِمّ .

* * *



# ٤ ـــ الخائن ..

لم يعلم ( نور ) بتفاصيل ما حدث ، إلا بعد أسبوعين كاملين ، حينما شفيت جراحه تمامًا ، واستعاد صحته ، وصار مستعدًّا للعودة إلى عمله .. ولقد أدهشه وأقلقه ما أخبره به والده ، وما قصَّته عليه زوجته ( سلوى ) ، فهتف فى حَيْرة :

ـــ محاولة قتل ؟!.. ولكن من فعل ذلك ؟ .. ولماذا ؟

قلَّب والده كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول فى أسف :

ـــ لم يسفر التحقيق عن أى شىء يا ( نور ) ، سوى تأكيد أنها محاول قتل ، فخلية البثّ الهولوجرافى الليزرية يمكن شراؤها من أى متجر متخصّص ، ولقد تم وضعها فى مكان خلية المرور الليزرية دون شهود ، أو أدلّة ، ولا يوجد خيط واحد يمكن تتبّعه للوصول إلى الحقيقة .

عقد ( نور ) حاجبيه ، وصمت بعض الوقت ، وهو يفكّر فى عمق ، قبل أن يقول فى هدوء :

ـــ بل يوجد طرف خيط يمكن تعقّبه يا أبى .



وقبل أن يسأله والده ، أو تسأله ( سلوى ) عمّا يعنيه ، استطرد فى اهتمام :

ـــ لقد كان الحادث الذى تعرَّضنا له : ( سلوى ) وأنا ـــ هو الحادث الوحيد على ذلك الطريق ، فى تلك الليلة ، وهذا يعنى أن الشخص الذى وضع الخطة كان يقصدنا بالذات ، وكان يعلم أننا سنعبر ذلك الطريق ، فى تلك الليلة بالذات ، وهذا يعود بى إلى الدعوتين اللتين تلقيناهما ؛ لحضور ذلك العرض المسرحى فى معبد ( الكرنك ) ، واللذين ظنناهما مرسلين من المشرفين على المسرحية ، ولكننى أعتقد ، بل أكاد أجزم الآن ، بأنهما قد أرسلتا من قِبل القاتل شخصيًّا .

اتسعت عينا ( سلوى ) فى خليط من الدهشة والذعر ، فى حين هتف والد ( نور ) فى انفعال :

ـــ إذن فقد أرسل إليكما الدعوتين ، ليتصيَّدكما فى رحلة العودة !

ثم استطرد فى حَنَق :

ـــ ولكن كيف يمكننا التوصّل إليه ؟

أجابه ( نور ) فى اهتمام وجدِّيّة :

ـــ علينا أن نحاول يا والدى ، فلو أننا تقاعسنا عن البحث

عن ذلك القاتل ، فسيعنى هذا أن نمنحه الفرصة لمعاودة الكرَّة .

ثم التقط سترته الجلديَّة ، وأسرع نحو باب منزله ، فهتفت به ( سلوى ) :

ـ إلى أين يا ( نور ) ؟

التفت إليها ، وابتسم وهو يقول فى هدوء :

ـ سأحاول التقاط طرف الخيط يا عزيزتى .

ثم أدار عينيه إلى والده ، مستطردًا فى بساطة :

ـ انتظر عودتى يا أبى .. لن تطول غيبتى ..

وقبل أن يلفظ أحدهما بحرف واحد ، اندفع خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى قوة .

* * *

تقدَّم وجه مألوف من البوَّابة الرئيسية لمبنى المخابرات العلمية المصرية ، وابتسم وهو يقول لرجل الأمن فى هدوء :

ـ كيف حالك يا ( عادل ) ؟

نهض رجل الأمن ، وهو يقول فى احترام :

ـ فى خير يا سيِّدى الرائد .. شكرًا لك .

ثم تسلَّلت حمرة الخجل إلى وجهه الهادئ ، وهو يستطرد :



ـ إنك لن تمانع فى مواجهة وسائل الأمن يا سيِّدى الرائد .. أليس كذلك ؟

ابتسم الرائد ، وهو يقول :

ـ بالطبع يا ( عادل ) .. القانون هو القانون ، ولا بد من اتخاذ كل وسائل الحذر ، فكل رجل فى مخابرات العدوّ يحلم بالتسلّل إلى قيادة مخابراتنا العلمية .

ارتسم الارتياح على وجه رجل الأمن ، وهو يشير بيده إلى جهاز صغير ، قائلاً :

ـ شكرًا يا سيِّدى الرائد .. هلَّا تبعتنى !

تبعه الرائد الشاب فى هدوء إلى جهاز الفحص الأمنى ، وألصق كفه بشاشة صغيرة فى مقدِّمة الجهاز ، ولم تمض لحظات حتى أضاءت الشاشة بلون وردىّ باهت ، لم يلبث أن تحوَّل إلى الأزرق الهادئ ، ثم انطلق من الجهاز خيط من أشعة بنفسجية ، استقرّ لحظة على عينى الرائد ، ثم أعقبه أزيز هادئ ، ظهرت بعده صورة واضحة للرائد الشاب ، فوق شاشة أخرى للجهاز ، اقترن ظهورها باختفاء كل الأضواء والأشعة ، فابتسم رجل الأمن ، وهو يقول :

ـ يمكنك الدخول يا سيادة الرائد .. شكرًا لتعاونك .

ابتسم الرائد فى هدوء ، وأسرع يدلف إلى مبنى المخابرات ، وعبر ممَّراته فى خطوات واسعة ، وهو يلقى تحية باسمة على كل من يقابله ، حتى وصل إلى حجرة خاصة ، علّقت فوقها لافتة مضيئة ، تقول كلماتها فى وضوح : « غير مسموح بالدخول لغير فريق الأمن الخاص » ..

وفى هدوء ، ألصق الرائد الشاب كفه بشاشة صغيرة ، تشبه تلك الموجودة فى حجرة الأمن فى الخارج ، وتكرَّرت نفس إجراءات الفحص الخارجية فى تتابع سريع ، ثم ظهرت صورة الرائد الشاب على شاشة مجاورة ، وانفتح باب الحجرة فى هدوء ، ليدخلها الرائد الشاب ، قبل أن ينغلق بابها خلفه فى إحكام ..

وتوقَّف الرائد الشاب يتأمَّل تلك الأسطوانات المسطَّحة الصغيرة ، التى تملأ أرفف المكان ، قبل أن ينقل بصره إلى جهاز الكمبيوتر الصغير فى الركن ، ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يغمغم :

ـــ هأنذا أخيرًا فى حجرة الملفَّات السرِّيَّة الخاصة ، فى المخابرات العملية المصرية ..



والتقط مجموعة من الأسطوانات الكمبيوترية المسطَّحة الصغيرة ، قبل أن يردف فى ارتياح :

ـــ يا لها من غنيمة !!

* * *

مضت ساعة كاملة ، قبل أن يغادر الرائد الشاب مبنى المخابرات العلمية ، وابتسم رجل الأمن وهو ينهض لتوديعه ، قائلاً :

ـــ هل كانت زيارتك ناجحة هذه المرة يا سيادة الرائد ؟

ابتسم الرائد الشاب ، وهو يقول فى لهجة أقرب إلى السخرية :

ـــ كما لم يحدث من قبل يا عزيزى ( عادل ) .

ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى ( عادل ) ، وهو يقول :

ـــ هذا يسعدنى يا سيِّدى الرائد .. فالجميع هنا ..

بتر ( عادل ) عبارته فجأة ، وهو يحدِّق فى جسم يبرز طرفه من جيب سترة الرائد الشاب ، واختلج صوته وهو يقول فى ذعر ودهشة :

ـ سيدى الرائد .. أنت تعلم أنه من الممنوع تمامًا الخروج بواحدة من أسطوانات الكمبيوتر من هنا و ..

قاطعه الرائد الشاب فى خشونة ، لم يعهدها فيه رجل الأمن من قبل :

ـ لا تتدخل فيما لا يعنيك يا رجل .. عد إلى موقعك .

اتسعت عينا رجل الأمن ، وهو يهتف :

ـ ولكن يا سيادة الرائد إن هذا ..

بتر رجل الأمن عبارته فجأة ، وتراجع فى ذهول ، حينما انتزع الرائد الشاب مسدَّسه الليزرىّ فى حركة حادَّة مباغتة ، وصوَّبه إليه ، وهو يهتف فى شراسة :

ـ قلت لك : عد إلى موقعك وإلاَّ ..

كان الموقف مذهلاً مثيرًا ، نظرًا لتاريخ الرائد الشاب ، وذلك الوضع الخاص ، الذى يتميَّز به فى أروقة الإدارة ، إلَّا أن التدريبات المكثَّفة ، التى تلقَّاها رجل الأمن ، قبل أن يتبوَّأ منصبه هذا ، جعله ينفض ذهوله فى سرعة تثير الإعجاب ، ويغوص بجسده إلى أسفل ، وهو ينتزع مسدَّسه الليزرىّ ، ويطلق أشعته نحو الرائد الشاب ، الذى تفادى الطلقة بمرونة مذهلة ، اكتسبها بدوره من تدريبات ضبَّاط المخابرات العلمية



الخاصة ، ثم أطلق أشعة مسدَّسه الليزرية نحو رجل الأمن ، الذى أطلق صرخة ألم مكتومة ، حينما مرق خيط الأشعة القاتلة من كتفه ، وأسال دمه ، فى حين انطلق الرائد الشاب نحو سيارة صاروخية تنتظره ، وقفز إليها ، فانطلقت به مبتعدة فى سرعة ، ورجل الأمن يتابعها فى ذهول ، ثم لم يلبث أن نفض ذهوله فى سرعة مرة أخرى ، والتقط من جيب سترته أسطوانة دائرية صغيرة ، هتف عبرها فى مزيج من الألم والذهول والمرارة :

ـ إنذار إلى جميع نقاط الأمن .. يوجد ضابط خائن بين الصفوف .. لقد سرق بعض أسطوانات الكمبيوتر السِّرية .. أكرِّر .. هناك خائن بين الصفوف .

* * *

عاد ( نور ) إلى منزله بعد ساعة واحدة ، واستقبله والده وزوجته فى اهتمام ، وسألته الأخيرة فى لهفة :

ـ هل وجدت شيئًا ؟

هزَّ رأسه نفيًا فى ضيق ، وهو يقول :

ـ بالعكس .. لقد هدمت نظريتى عند أوَّل محاولة بحث .

سأله والده فى دهشة :

ـ ماذا تعنى ؟

أجابه فى حَنَق واضح :

ـ لقد كانت الدعوتان مرسلتين من مشرفى المسرحية بالفعل ، أو من بطلها على وجه الدقة ، فهو ممثّل قدير ، سبق أن التقينا به فى مغامرة سابقة .

سألته ( سلوى ) فى دهشة :

ـ هل أرسلها ( ممدوح خالد )(*) ؟.. لماذا لم يخبرنا بذلك إذن ؟

لوَّح ( نور ) بذراعه ، وهو يقول فى ضيق :

ـ يقول إنه أراد مفاجأتنا ، ولكننا انصرفنا فور انتهاء العرض ، فلم يمكنه مقابلتنا .

عقد والد ( نور ) حاجبيه ، وهو يغمغم فى حَيْرَة :

ـ عجبًا !!

كان ينوى أن يسأل ( نور ) بضعة أسئلة تثير حَيْرته ، لولا أن قالت ( سلوى ) فى قلق ، وهى تشير عبر النافذة إلى الخارج :

ـ يبدو أن لدينا زائرين يا ( نور ) .

(*) راجع قصة ( الفخ الزجاجى ) .. المغامرة رقم ( ٢٧ ) .



تطلَّع ( نور ) عبر النافذة إلى السيّارة التى توقَّفت أمام منزله ، وإلى الرجلين اللذين غادراها ، ثم ابتسم وهو يقول :

ـ إنهما الرائد ( فهمى ) ، والرائد ( سامى ) .. من زملاء الإدارة .

أشارت ( سلوى ) إلى عدد من ضباط الشرطة المسلحين ، انتشروا فى حديقة المنزل ، وقالت فى قلق :

ـ وهل اعتاد ( فهمى ) و ( سامى ) الخروج دائمًا فى حراسة مسلَّحة ؟

ضحك ( نور ) ، وهو يقول :

ـ ربَّما كانا فى طريقهما لعملية جديدة يا عزيزتى .

وأسرع يستقبل صديقيه ، هاتفًا فى مرح :

ـ كيف حالكما يا رفيقى الكفاح ؟

أدهشه برود صديقيه فى رد تحيته ، وتلك الدهشة التى بدت فى عيونهما ، و ( فهمى ) يقول :

ـ عجبًا !!.. لم أكن أتوقَّع أن أجدك فى منزلك .

ابتسم ( نور ) ابتسامة قلقة ، وهو يقول :

ـ لقد عدت توًّا من الخارج ، لحسن حظكما .

تأمله الاثنان بنظرات باردة لم ترق له ، فعقد حاجبيه ، وهو يسألهما :

ـ ماذا هناك ؟

تنهَّد ( سامى ) فى ضيق ، فى حين قال ( فهمى ) فى برود :

ـ لقد سُرقت بعض الأسطوانات السِّرِّيَّة من الإدارة .. أنت أول من يعلم بالطبع .. أليس كذلك ؟

هتف ( نور ) فى دهشة :

ـ يا إلهى !! إنه أمر بالغ الخطورة .. لماذا لم يبلغنى القائد الأعلى بوسائلنا الخاصة بدلاً من ..

قاطعه ( سامى ) فى حِدَّة :

ـ كفى يا ( نور ) .. أنت تعلم أن وجود خائن فى صفوف الإدارة هو أسوأ ما يمكن أن يحدث لنا .

ارتفع حاجبا ( نور ) فى ذهول ، وهو يهتف :

ـ خائن ؟!.. فى صفوف الإدارة ؟!.. يا إلهى !!.. هل علمتم من هو ؟

حَدَجَهُ الاثنان بنظرة قاسية ، قبل أن يقول ( فهمى ) فى صرامة :

ـ إلى متى تأمل أن تدوم محاولة الخداع السخيفة هذه يا ( نور ) ؟



سأله ( نور ) فى دهشة :

ـ ماذا تعنى يا ( فهمى ) ؟.. وماذا يعنى أسلوب حديثك هذا ؟

أجابه ( سامى ) فى حَنَق :

ـ كفى يا ( نور ) .. الأمر لم يعد سِرًّا .. أنت ونحن نعلم أن الخائن ليس سوى ......

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى غضب وصرامة :

ـ أنت أيها الرائد ( نور ) .

* * *



## ٥ ــ الحصـار القاتل ..

مضت دقيقة كاملة ، و ( نور ) يحدِّق فى وجهى زميليه فى ذهول ، وانتقل ذهوله إلى والده وزوجته ، اللذين احتبست الكلمات فى حلقيهما ، فلاذا بصمت رهيب ، قبل أن يهتف ( نور ) فى مزيج من الغضب والاستنكار :

ــ أى هراء هذا ؟.. هل أصابكما الجنون ، حتى تتهمانى بأبشع تهمة فى نفس أى مواطن شريف ؟

أطرق الرائد ( فهمى ) برأسه ، وهو يقول فى حزن :

ــ لم أكن أحبّ أن أقف هذا الموقف السخيف يا ( نور ) ، ولكن لا جدوى من محاولتك الإنكار ، فلقد سجَّلت أجهزة الفحص الأمنى قدومك إلى الإدارة ، منذ ما يقرب من الساعة ونصف الساعة ، ودخولك إلى غرفة حفظ الوثائق السرِّيّة ، ولقد تعرَّفك رجل الأمن ، ولست أدرى كيف يقدم ضابط ممتاز مثلك ، يشهد له الجميع بالكفاءة والتفوّق على مثل ...

قاطعه ( نور ) فى حِدَّة :

ــ يا للسخف !!.. إننى لم أطأ أروقة الإدارة منذ أسبوعين كاملين .



تبادل ( فهمى ) و ( سامى ) نظرة حزينة ، قبل أن يسأله ( سامى ) فى صرامة :

ــ أين كنت منذ ساعة ونصف يا ( نور ) ؟

أجابه ( نور ) فى حِدَّة :

ــ فى مكتب البريد الآلى ..

سأله ( فهمى ) :

ــ هل يمكنك أن تثبت ذلك ؟

لوَّح ( نور ) بذراعه ، وهو يقول فى عصبية :

ــ لا بالطبع .. أنت تعلم أن مكاتب البريد تدار بآلية كاملة ، فى عصرنا هذا ، ولا يمكننى أن أطلب شهادة آلة ، ولكن يمكنك أن تسأل والدى وزوجتى .

شحب وجه ( سلوى ) ، وأطلَّ الحزن من عينى الوالد ، حينما التفت إليه الرائد ( فهمى ) ، يسأله فى صرامة :

ــ هل تؤكِّد هذا القول يا سيِّدى ؟

ساد الصمت لحظة ، وارتسم ذلك الصراع الذى يدور فى أعماق الأب على وجهه ، قبل أن يقول فى صوت خافت :

ـــ ابنى لا يكذب أبدًا أيها الرائد .

هتف به ( سامى ) فى حِدَّة :

ـــ يمكنك أن تحتفظ برأيك الخاص فى ابنك يا سيِّدى ، فكل ما نطلبه هو إجابة محدودة .. أيمكنك أن تؤكِّد ذهاب ابنك إلى مكتب البريد ، أم لا ؟

نقل الوالد بصره فى حَيْرة ، بين ابنه ، و ( سلوى ) التى ازداد شحوبها ، ثم أطرق برأسه وهو يقول فى ألم :

ـــ لا ..

عقد ( نور ) حاجبيه فى شدة ، فى حين هتفت ( سلوى ) فى استنكار وشحوب :

ـــ عمَّاه !!.. كيف أمكنك أن ... ؟

قاطعها ( نور ) فى انفعال :

ـــ أبى على حق يا ( سلوى ) .

تطلَّعت إليه فى ذهول ، بعينين ترقرقت فيهما الدموع ، فاستطرد فى صرامة :

ـــ إن أبى رجل شريف يا ( سلوى ) ، لا يمكنه أن يخون ضميره ومبادئه من أجل أى مخلوق فى العالم .. حتى ولده .. وهذا ما جعلنى أحبه وأحترمه دائمًا .. لقد رآنى مثلك أغادر



المنزل ، وأعود إليه ، ولكنه لا يستطيع أن يؤكِّد أننى قد ذهبت إلى مكتب البريد .. لقد كانت إجابته واضحة وصريحة وشريفة .

ثم التفت إلى ( فهمى ) و ( سامى ) ، مردفًا فى غضب :

ـــ لقد أحكم أصحاب هذه الخدعة المحكمة الحصار ، وأمكنهم استغلال الـ ..

قاطعه ( فهمى ) فى صرامة :

ـــ معذرة يا ( نور ) ، ولكن قولك هذا يجافى الحقيقة كثيرًا ، فأنت تعلم مثلى أن أجهزة الفحص الأمنى فى الإدارة لا تخطئ أبدًا ، لقد قامت هذه الأجهزة بفحص بصماتك ، وتوزيع المسام العرقية فى كفك ، وبصمات قزحية عينيك ، وكلها أشياء يستحيل تكرارها أو تشابهها ، حتى فى التوائم المتجانسة(*) .

اتسعت عينا ( نور ) فى دهشة وجزع ، وهو يهتف :

ـــ ولكن هذا مستحيل !!.. لا ريب أنه هناك خدعة ما و ..

(*) حقيقة علمية .



قاطعه ( فهمى ) فى برود ، وهو يصوّب إليه مسدّسه الليزرىّ :
ـــ إننا نلقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا ( نور ) .. الخيانة العظمى .

قاطعه ( فهمى ) فى برود ، وهو يصوّب إليه مسدّسه الليزرىّ :

ـــ إننا نلقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا ( نور ) .. الخيانة العظمى .

* * *

انخرطت ( سلوى ) فى بكاء حارٍّ عنيف ، بعد أن اصطحب ( فهمى ) و ( سامى ) زوجها ، بتهمة الخيانة ، إلى حيث يتم استجوابه فى إدارة المخابرات العلمية ، فى حين جلس والده على مقعد قريب ، زائغ النظرات ، شارد الفكر ، وهو يغمغم فى ذهول :

ـــ ( نور ) خائن ؟!.. هذا مستحيل !! مستحيل !!

هتفت ( سلوى ) ، وهى تبكى فى حرارة :

ـــ لن أصدّق أنه خائن ، حتى ولو رأيته يسرق أسطوانات الكمبيوتر السرّيّة هذه بنفسى .

عاد الوالد يردّد فى ذهول :

ـــ هذا مستحيل !! مستحيل !!

نهضت ( سلوى ) فى حركة حادَّة ، وكفكفتْ دموعها فى صرامة ، وتقول فى عناد :

ــ لن نتركه يواجه هذه المِحْنة وحده .. سأخبر ( رمزى ) و ( محمود ) والدكتور ( حجازى ) .

.. ستتكاتف جميعًا لإخراج ( نور ) من هذه الورطة المحكمة .

وأسرعت إلى جهاز ( التليڤيديو ) ، تضغط أزراره فى عصبية وتتابع ، وهى تردف فى صرامة :

ــ سيصارع الفريق كله ، بكل ما يملك من قوَّة ، من أجل قائده ، الذى لا يخون وطنه أبدًا ..

وتدفَّقت الثقة فى عروقها ، وانتقلت إلى صوتها ، وهى تستطرد فى قوَّة :

ــ أبدًا ..

* * *

لم تفارق الحَيْرَة رأس ( نور ) ، وهو يجلس بين زميليه ، فى تلك السيارة التى تحمله إلى إدارة المخابرات ، فقد كان يعلم ــ مثلهما ــ أن أجهزة الفحص الأمنى لا تخطئ أبدًا ، ولكن هذا كان يزيده حَيْرةً ، فهو واثق من أنه لم يذهب إلى الإدارة اليوم ، أو أمس ، أو حتى منذ أسبوعين كاملين ، وكان



هذا يعنى بالنسبة إليه شيئًا واحدًا ، ألا وهو أنه ضحية خدعة محكمة ، يعجز عن فهمها حتى هذه اللحظة ..

خدعة أُعِدَّت لتحاصره حصارًا كاملاً ، قاتلاً ، لا يجد منه فكاكًا ..

وفجأة بدأ القلق يتسلَّل إلى نفسه فى قوَّة ، فلو أن هذه الخدعة قد أُعدّت بهذا الإحكام ، فسيعنى هذا أنه سيحاكم بتهمة الخيانة العظمى ، وعقوبة الإدانة فى مثل هذه التهمة ، هى الإعدام ..

صحيح أنه لا يخشى الموت ، ولكنه يخشى العار ..

العار الذى سيكلِّل ابنته وزوجته ، وأسرته كلها ، بعد تاريخه الحافل بالقتال والصراع من أجل وطنه ..

من أجل ( مصر ) ..

وتدفَّقت فى عروقه دماء الغضب والحماس ، وتجمَّعت مشاعره كلها ، لتستقر عند هدف واحد ، وقرار واحد ..

الهروب ..

لا بدَّ له من الهروب ، حتى يمكنه أن يسعى لكشف الحقيقة ..

الهروب قبل أن يصل إلى الإدارة ، ويطبق الفخ فكيه حول عنقه ..

ولكنه لم يكد يتوصَّل إلى هذا القرار ، حتى توقَّفت السيَّارة أمام مبنى إدارة المخابرات العلمية ، وقال ( فهمى ) فى صوت يقطر حزنًا :

ــ لقد وصلنا يا ( نور ) .. يؤسفنى أن تتطوَّر الأمور إلى هذا الموقف ، الذى يؤلمنى بأكثر مما يؤلمك .

ابتسم ( نور ) ، وهو يجيبه فى هدوء :

ــ اطمئن يا صديقى .. لن يستمر هذا الموقف طويلاً .

تطلَّع إليه ( فهمى ) فى حزن ، ثم غادر السيارة ، وهو يقول :

ــ هيَّا يا ( نور ) .

تباطأ ( نور ) فى الهبوط ، حتى غادر السائق مكانه خلف عجلة القيادة ، و ( سامى ) يقول فى صرامة :

ــ هيَّا أيها الرائد .. إنهم ينتظرونك .

هبط ( نور ) من السيارة فى هدوء ، ثم التفت إلى ( سامى ) و ( فهمى ) ، قائلاً :

ــ الموقف كله يؤسفنى يا صديقىَّ ، ولكن الظروف كلها تضطرنى لأن أفعل ما سأفعل .



تطلَّع إليه ( فهمى ) فى دهشة ، فى حين قال ( سامى ) فى صرامة :

ــ تقصد ما فعلت .

ابتسم ( نور ) ، وهو يقول :

ــ بل ما سأفعل يا صديقى .

أدرك ( فهمى ) فجأة ما يعنيه ( نور ) ، فأسرعت يده إلى مسدَّسه ، وهو يهتف :

ــ يا إلٰهى !! .. إنه ينوى أن ..

قاطعته لكمة قوية من قبضة ( نور ) فى معدته ، فانثنى وهو يتأوَّه فى ألم ، وتحرَّك ( سامى ) يحاول إنقاذ الموقف ، ولكن قبضة ( نور ) الأخرى أصابت فكه ، وألقته أرضًا ، قبل أن تنجح أصابعه فى التقاط مسدَّسه الليزرىّ ..

وقفز رجال الشرطة من السيارة الأخرى ، يحاولون إيقاف ( نور ) ، إلَّا أن هذا الأخير قفز إلى السيارة التى أقلَّته فى حركة مرنة سريعة ، وضغط أزرار انطلاقها فى براعة ، لتنطلق به السيَّارة كالصاروخ ، تلاحقها خيوط أشعة الليزر القاتلة . التى مرق منها ( نور ) فى مهارة منقطعة النظير ، قبل أن ينحرف

فى أول منعطف جانبى ، متجاوزًا الحد الأقصى المسموح به للسرعة داخل المدن ..

وقفز رجال الشرطة إلى سيّاراتهم ، يريدون الانطلاق خلفه ، ولكنَّ الرائد ( فهمى ) صاح بهم ، وهو يمسك معدته فى ألم :

ـ لا فائدة .. لن يمكنكم اللّحاق به أبدًا .

هتف ( سامى ) فى مزيج من الحَنَق والألم :

ـ هل جننت ؟!.. دعهم يطاردونه .

عقد ( فهمى ) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة وصرامة :

ـ إنه ضابط مخابرات علمية يا ( سامى ) ، ولن يفوقه أحدهم جرأة ومهارة فى القيادة .. إنه خبير فى الفرار والمطاردة بحكم عمله .

لوَّح ( سامى ) بذراعه ، وهو يهتف غاضبًا :

ـ وهل يعنى هذا أن نسمح له بالفرار ؟

انحنى ( فهمى ) ليلتقط مسدَّسه الليزرىّ ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا زميلى .. سنحكم الحصار حوله داخل ( القاهرة ) ، ولن يستمر فراره طويلًا ..

صاح ( سامى ) فى حَنَق :

ـ ومن أدراك أنه سيبقى فى ( القاهرة ) ؟



تطلَّع ( فهمى ) إلى حيث اختفت سيارة ( نور ) ، وهو يقول :

ـ سيبقى يا صديقى .. سيبقى ..

ثم أردف فى لهجة أدهشت زميله :

ـ سيبقى حتى يجد دليل براءته .

* * *



# ٦ ــ الهـارب ..

استمع ( محمود ) و ( رمزى ) إلى ( سلوى ) ، وهى تقصّ عليهما ما حدث فى انفعال شديد ، ثم هتف ( محمود ) فى استنكار بالغ :

ــ ( نور ) خائن ؟!.. هذا مستحيل بالطبع !!

أما ( رمزى ) ، فقد سأل ( سلوى ) فى اهتمام :

ــ هل ذهب ( نور ) إلى مكتب البريد حقًّا ؟

رمته ( سلوى ) بنظره مستنكرة ، وهى تقول :

ــ بالطبع يا ( رمزى ) .. أنت تعلم أن ( نور ) لا يكذب أبدًا .

أجابها فى هدوء ورصانة :

ــ أجهزة الفحص الأمنى أيضًا لا تخطئ أبـدًا يا ( سلوى ) .

صاحت ( سلوى ) فى غضب :

ــ ويلك يا ( رمزى ) !!.. هل راودك الشكّ فى أن ( نور ) خائن بالفعل ؟

تنهّد ( رمزى ) ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدَكِ يا ( سلوى ) .. إنما أحاول التفكير على نحو



عملىّ منطقىّ ، تمامًا كما كان سيفعل ( نور ) ، لو أن أحدنا هو المتهم بالخيانة .

عادت تصيح فى عصبية :

ــ وهل من العملىّ أو المنطقىّ أن تتصوّر ( نور ) خائنًا ؟

زفر ( رمزى ) مرّة أخرى فى ضيق ، قبل أن يقول محاولًا تمالك هدوئه :

ــ مهلًا يا ( سلوى ) .. إننا لن نعاون ( نور ) بالعصبية الزائدة ، أو الثقة المفرطة فى صدقه وأمانته ، فلو أن الأدلة تدينه ، حسبما فهمت من قصتك ، فلن يفيده إلّا التفكير الهادئ المنظّم ، حتى ولو أحنقك هذا الأسلوب ، أو أثار غضبك .

أعادت إليها كلماته الصادقة منطقها ، فأطرقت وهى تغمغم فى توتُّر :

ــ معذرةً يا ( رمزى ) ، ولكنه زوجى ، وأنت خير من يقدّر اضطراب مشاعرى .

غمغم فى إشفاق :

ــ لا عليك .

عادت تسأله فى لهفة واهتمام :

— ما الذى تسعى إليه بالضبط ؟

عقد ( رمزى ) حاجبيه ، وكأنما يحاول تركيز أفكاره ، وهو يقول فى هدوء :

— أمامنا الآن حقيقتان لا شك فيهما : أولهما — أن ( نور ) قد غادر المنزل ، وعاد إليه ، فى نفس الفترة التى تمت فيها عملية الاستيلاء علىَ الأسطوانات السِّرّيَة ، دون أن يصحبه أحد ، ودون أن يمتلك دليلا واحدا مؤكَّدا ، يثبت أنه لم يذهب إلى الإدارة ، وثانيا — أن أجهزة الفحص الأمنىّ ، فى إدارة المخابرات العلمية ، قد أكَّدت — بما لا يقبل الشك — أن الشخص الذى سرق الأسطوانات هو ( نور ) نفسه ، وهذه الأجهزة لم ، ولا ، ولن تخطئ فى تحديد هوية شخص ما ، فهى تفحص ما لا يمكن تزويره أو افتعاله .

عقدت ( سلوى ) حاجبيها ، وهى تغمغم فى حَنَق :

— إنَّك تُدِينُ ( نور ) هكذا يا ( رمزى ) .

تجاهل ( رمزى ) تعليقها الغاضب ، واستطرد فى هدوء :

— لو أننا أضفنا إلى هذين العاملين إصابة ( نور ) ، التى تسبَّبت فى حدوث ارتجاج مخى ، منذ أسبوعين ، لوجدنا أمامنا تفسيرًا منطقيًا ، على الرغم من ..



قاطعته ( سلوى ) فى غضب شديد :

— ( رمزى ) .. هل تتَّهم ( نور ) بالجنون ؟

ظهر الضيق على وجه ( رمزى ) ، وهو يقول :

— لست أعنى الجنون يا ( سلوى ) ، وإنَّما ...

بتر عبارته فجأة ، حينما ارتفع صوت طرقات صارمة على باب المنزل ، فتبادل ( أفراد ) الفريق كلهم نظرة قلقة ، ثم أسرعت ( سلوى ) تفتح الباب ، وعقدت حاجبيها فى حَنَق ، حينما طالعها وجه الرائد ( سامى ) ، وهتفت فى عصبيَّة :

— ماذا هناك ؟.. هل قرَّرتم إلقاء القبض علىَّ أيضًا ؟

حدَجَها ( سامى ) بنظرة صارمة ، وهو يقول فى برود :

— لقد هرب الرائد ( نور ) يا سيِّدتى .

هتف الجميع فى دهشة :

— هرب ؟!

وشعر الرائد ( سامى ) بالضيق ، لذلك الارتياح الذى اختلط بصيحة الدهشة ، فعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يردف :

— سنقوم بتفتيش المنزل .. إننى أحمل أمرًا رسميًا بذلك .

أفسحت له ( سلوى ) الطريق ، وهى تقول فى لهجة تحمل الكثير من السخرية والشماتة :

ـ الأمر لا يحتاج إلى أمر رسمىّ أيها الرائد .. هيَّا .. المنزل كله تحت أمرك .

* * *

استغرق تفتيش المنزل ساعة كاملة ، قلَّب خلالها ( سامى ) كلَّ ورقة ، بحثًا عن ( نور ) ، حتى انتهى من عمله ، فغمغم فى صرامة :

ـ لست أحتاج إلى تذكيركم بأن القانون يعاقب من يُؤْوِى مجرمًا هاربًا و ..

قاطعه ( محمود ) فى برود :

ـ إننا نحفظ موادَّ القانون جيِّدًا .

احتقن وجه ( سامى ) لحظة ، وفتح شفتيه وكأنه يهم بنطق عبارة ما ، إلَّا أنه لم يلبث أن عاد يطبقهما ، وهو يندفع خارجًا فى حَنَق واضح ، ولم يكد يغلق الباب خلفه ، حتى هتفت ( سلوى ) فى سعادة :

ـ حمدًا لله .. لقد هرب ( نور ) منهم .

عقد ( محمود ) حاجبيه ، وهو يقول فى قَلَق :

ـ أظن أن هذا يزيد الأمور تعقيدًا ، فلقد أصبح ( نور ) هاربًا من العدالة ، وستطارده كل أجهزة الأمن بلا رحمة .



هتفت ( سلوى ) :

ـ ولكن هذا سيمنحه فرصة لإثبات براءته على الأقل .

تردَّد ( رمزى ) لحظة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ـ ربَّما .

ولم يكد يلمح تلك النظرة الغاضبة فى عينى ( سلوى ) ، حتى أسرع يستدرك :

ـ ولكن أين ذهب ( نور ) بعد فراره ؟

هتف ( محمود ) فى اهتمام :

ـ أعتقد أنك خير من يمكنه استنتاج ذلك ، فأنت تعرف ( نور ) جيِّدًا ، ثم إنك خبير بالطب النفسىّ .

عقد ( رمزى ) حاجبيه فى تفكير ، ثم تألَّقت عيناه ، وهو يقول فى ثقة :

ـ بالطبع .. هناك مكان واحد يمكن أن يلجأ إليه ( نور ) فى مثل هذه الظروف .

وازدادت عيناه تألُّقًا ، وهو يردف فى انفعال :

ـ منزل الدكتور ( محمد حجازى ) ..

* * *

وقف الدكتور ( محمد حجازى ) ، أمام باب معمله الخاص ، الملحق بمنزله ، يتطلّع فى هدوء إلى وجه الرائد ( فهمى ) ، الذى يقول فى لهجة تحمل نبرة احترام واعتذار :

ـــ مَعْذِرةً لمقاطعتى عملك يا سيِّدى ، ولكننى ذهبت إلى منزلك أوَّلًا ، فأخبرتنى السيِّدة زوجتك أنك هنا .

ارتسمت ابتسامة حانية على شفتى الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا بأس يا بنى .. هل من خدمة يمكننى تقديمها لك ؟

تنحنح ( فهمى ) ، وهو يقول فى ارتباك :

ـــ إنها زيارة عمل فى الواقع يا سيِّدى ، فنحن نبحث عن ضابط خائن و ..

قاطعه الدكتور ( حجازى ) فى هدوء ، دون أن تفارق ابتسامته شفتيه :

ـــ ضابط خائن ؟!.. وما علاقتى بهذا الأمر يا ولدى ؟

ازداد ارتباك ( فهمى ) ، وهو يغمغم :

ـــ إنك تعرفه يا سيِّدى .. إنه الرائد ( نور الدين ) !!

عقد الدكتور ( حجازى ) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :



ـــ ( نور ) ؟!.. لو أننا فى الأوّل من إبريل ، لقلت إنها مُزْحة سخيفة يا ولدى .

أطرق ( فهمى ) برأسه ، وهو يغمغم فى أسف :

ـــ هذا يؤلمنا جميعًا يا سيِّدى ، ولكن الأدلَّة كلها تؤيِّد ذلك .

مطّ الدكتور ( حجازى ) شفتيه فى امتعاض ، ثم عاد يسأل ( فهمى ) فى هدوء :

ـــ وماذا تريد منِّى يا ولدى ؟

تلعثم ( فهمى ) ، وهو يغمغم فى احترام :

ـــ لقد قمنا بتفتيش منزلك يا سيِّدى ، بناء على أمر رسمىّ بالطبع ، ولو سمحت لنا ، فسنقوم بتفتيش معملك الخاصّ .

عاد الدكتور ( حجازى ) يمطّ شفتيه ، ويهزّ كتفيه ، قائلًا :

ـــ لا بأس يا ولدى .. ها هوذا أمامك ..

وأفسح له الطريق فى هدوء ، وهو يستطرد :

ـــ ولكن لا أظنك تمانع فى أن أواصل عملى فى أثناء تفتيشك لمعملى .

هتف ( فهمى ) :


فى حين ألقى ( فهمى ) نظرة سريعة على الجثة ، وشعر ببعض الغثيان .

ـ بالطبع يا سيدى .. بالطبع .

اتَّجه الدكتور ( حجازى ) فى هدوء نحو مائدة فحص قريبة ، استقرَّت فوقها جثة هامدة ، تغطيها ملاءة خضراء ، والتقط أدوات التشريح الخاصة به ، وأدار جهاز تسجيل صغير ، وكشف ذراع الجثة ، وأخذ يعمل فيها مبضعه ، ليزيل طبقة الجلد الخارجية ، ويكشف العضلات فى مهارة ، وهو يملى ملاحظاته على جهاز التسجيل ، فى حين ألقى ( فهمى ) نظرة سريعة على الجثة ، وشعر ببعض الغثيان ، حينما لمح ما يفعله الدكتور ( حجازى ) بذراعها ، وتساءل فى دهشة وهو يشيح برأسه ، عن موقف زوجة الدكتور ( حجازى ) من تلك الجثث ، التى يحضرها إلى معمله الخاص ، الملحق بمنزله ، ثم عاد يلقى الأمر كله جانبًا ، ويتفحَّص المعمل فى اهتمام ..

لم يكن هناك ركن واحد يمكن أن يختبئ به ( نور ) ، فلم يكن المعمل يحوى سوى مائدة الفحص ـ السابق ذكرها ـ وميكروسكوب أيونى ، تحتل شاشته الصغير ركن المعمل ، ومنصة كبيرة ، اصطفَّت فوقها بعض أجهزة الفحص والتحاليل ، وصوان للأدوات ..

ولم يستغرق تفتيش المكان بأكمله أكثر من خمس دقائق ،

تنحنح بعدها ( فهمى ) ؛ ليجذب انتباه الدكتور ( حجازى ) ، الذى أدار عينيه إليه فى هدوء ، وهو يفصل عضلات الذراع من منبتها ، فغمغم ( فهمى ) :

ــ مَعْذِرةً مرَّة أخرى يا سيِّدى ، وأرجو أن تبلغنا إذا ما لجأ إليك الرائد ( نور ) .

ابتسم الدكتور ( حجازى ) فى خبث ، وهو يقول :

ــ لا داعِىَ يا ولدى .. إنكم ستراقبون المنزل ليلًا ونهارًا بالطبع .

ارتبك ( فهمى ) ، وهو يغمغم :

ــ إنها إجراءات الأمن يا سيِّدى .

أومأ الدكتور ( حجازى ) برأسه متفهمًا ، وعاد يواصل عمله ، وهو يتمتم فى هدوء :

ــ بلا شك يا ولدى .. بلا شك .

أسرع ( فهمى ) يغادر المعمل ، والتقى أمام بابه بأفراد الفريق ، فغمغم فى اعتذار :

ــ إنه ليس هنا .

ثم اندفع نحو سيارته ، فدقّ ( رمزى ) باب معمل الدكتور



( حجازى ) فى هدوء ، ولم يكد هذا الأخير يفتح بابه ، حتى سألته ( سلوى ) فى لهفة :

ــ أين ( نور ) يا دكتور ( حجازى ) ؟

أشار إليهم الدكتور ( حجازى ) بالدخول فى هدوء ، وأغلق الباب خلفهم ، وهم يتفحَّصون المكان فى لهفة ، قبل أن تهتف ( سلوى ) فى يأس :

ــ يا إلهى !!.. إنه لم يأت إلى هنا .

ابتسم الدكتور ( حجازى ) فى هدوء واتجه إلى حيث ترقد الجثة ، والتقط الذراع التى ظلَّ يعمل عى تشريحها ، طيلة وجود الرائد ( فهمى ) ، فانفصلت عن الجثة فى سلاسة ، وبدت مبتورة من منبتها ، قبل أن يقول هو فى هدوء

ــ حسنًا أيها الهارب ، يمكنك أن تنهض .. إنهم أفراد فريقك .

وفجأة ، وأمام عيون أفراد الفريق المشدوهة تحرَّكت الجثة ، التى تختفى أسفل الملاءة الخضراء ، وأزاحت الملاءة لتنهض جالسة ، وهتفت ( سلوى ) فى مزيج من الدهشة والسعادة والحب :

ــ ( نور ) .. حمدًا لله !!.. حمدًا لله !!

وألقت نفسها بين ذراعيه ..

* * *

# ٧ ــ نظرية الاحتمالات ..

عقدت ( مشيرة محفوظ ) ، صحفية أنباء الڤيديو الشهيرة ، حاجبيها فى حَنَق ، وهى تقول فى استنكار ، موجِّهةً حديثها إلى رئيس تحرير الصحيفة :

ــ أى هراء هذا يا سيِّدى ؟.. إننى لن ألقى هذا البيان أبدًا ، حتى ولو أدّى الأمر إلى فصلى من الجريدة .

كان رئيس التحرير يعلم أنه يواجه أكثر صحفيات جريدته المجسَّمة عنادًا وكفاءة ، فتجاهل أسلوبها الفظ ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لن يصل الأمر إلى حد الفصل يا ( مشيرة ) .. إنه بيان رسمى ، وهناك أمر صارم من المخابرات العلمية بحتمية بثّه على كل موجات إرسالنا المجسَّم ، ولو رفضت أنت إلقاءه ، فسيلقيه صحفى آخر .

لوَّحت بذراعها ، وهى تقول فى سخط :

ــ فليلقه من يشاء ، ولكننى لن أفعل .. لقد أصابهم الجنون .. إننى أكثر من يعرف الرائد ( نور ) هنا ، وهو ــ



فى نظرى ــ أعظم ضباط المخابرات العلمية ، وأكثرهم ذكاءً وبراعة ، وهو من ذلك النوع الذى لا يخون أبدًا .

هزَّ رئيس التحرير كتفيه ، وهو يغمغم :

ــ مَنْ يَدرِى ؟ و.. ربَّما ..

قاطعته ( مشيرة ) فى حِدَّة :

ــ إننى أرفض أى احتمال ، مهما بدا منطقيًا .

ابتسم رئيس التحرير ، وهو يقول :

ــ أردت أن أقول : إنه ربَّما كان الأمر كله مجرَّد خدعة مدروسة ، أو خطة للإيقاع بشخص ما .

عقدت ( مشيرة ) حاجبيها ، وهى تفكِّر فى هذا الاحتمال الجديد ، الذى لم يخطر ببالها من قبل ، ثم عادت تهزّ رأسها فى عناد ، وهى تقول :

ــ حتى ولو كان الأمر كذلك .. لن ألقى هذا البيان أبدًا .

* * *

هتف ( رمزى ) ، وهو يتطلَّع إلى الدكتور ( حجازى ) فى إعجاب :

ــ خدعة رائعة يا سيِّدى .. أراهن أن الرائد ( فهمى )

قد فتّش معملك كله ، دون أن يقترب من الجثة ، ما دمت تقوم بتشريح تلك الذراع ، التى ظنها ذراعها .

ابتسم الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقول فى هدوء :

ــ هذا ما حدث بالفعل ، ولحسن الحظ أننى كنت أجرى بعض تجارب الطبّ الشرعىّ ، التى استلزمت إحضار هذه الذراع إلى معملى .

هتف ( محمود ) :

ــ أنت شجاع وعبقرىّ يا سيِّدى ، فلقد خدعت من ..

قاطعه ( نور ) فى صرامة :

ــ الأمر لم ينته بعدُ يا ( محمود ) .

قالت ( سلوى ) فى حنان :

ــ المهم أنك قد نجوْتَ يا ( نور ) .

عقد حاجبيه ، وهو يقول بمزيد من الصرامة :

ــ ليس بعدُ يا ( سلوى ) ، فما زلت هاربًا من العدالة ، وستزداد الأمور تعقيدًا كلَّما طالت مدة هروبى ، بالإضافة إلى أنه هناك شخص ما ، أعدَّ خطة محكمة ، جعلته يفوز بالعديد من وثائقنا السِّرِّيَّة .

مطَّ الدكتور ( حجازى ) شفتيه ، وهو يقول فى حَيْرة :



ــ لقد عاونتك على الهروب ؛ لأننى أثق تمامًا فى أنك لست خائنًا يا ( نور ) ، ولكن الأمر بِرُمَّتِه يبدو لى غامضًا محيِّرًا ، فلم يحدث أن أخطأت أجهزة الفحص الأمنىّ من قبلُ .

تنحنح ( رمزى ) فى حرج ، قبل أن يقول فى تردّد :

ــ لدىَّ نظريَّة فى هذا الشأن يا دكتور ( حجازى ) .. أعلم ، أنها لن تروق لكم ، ولكنها أكثر الاحتمالات منطقية .

سأله ( نور ) فى اهتمام :

ــ ما هى نظريتك يا ( رمزى ) ؟

تردَّد ( رمزى ) لحظة ، قبل أن يغمغم فى خفوت :

ــ نظريتى تقول إنك قد فعلت ذلك حقًّا يا ( نور ) ، دون أن تدرى .

حدَّق الجميع فى وجهه فى دهشة واستنكار ، فأطرق برأسه ، وهو يستطرد فى حزن :

ــ فعلته فى حالة انفصام شخصية كامل .

* * *

مضت دقيقة كاملة ، والجميع يحدِّقون فى وجه ( رمزى ) فى ذهول ، قبل أن يسأله ( نور ) فى هدوء :

ــ وما الذى دفعك إلى وضع هذا الاحتمال يا ( رمزى ) ؟

مطَّ ( رمزى ) شفتيه ، وقلَّب كفيه فى أسف ، وهو يقول فى حزن :

ــ إصابة رأسك منذ أسبوعين يا ( نور ) .. فى كثير من الأحيان ، يؤدى ارتجاج المخ إلى ظهور أعراض مرضيَّة نفسيَّة عجيبة ، وهذه الأعراض لا تسجِّلها أجهزة فحص الإشارة المخية بالطبع ، فهى ليست أمراضًا عضويَّة ، وإنما هى أعراض كامنة فى العقل الباطن ، وفى حالتك هذه أدَّى ارتجاج المخ عندك إلى حدوث انفصام الشخصية ( الاسكيزوفرانيا ) ، أو كما يطلق عليه العامة اسم ( شيزوفرانيا ) ، فأصبحت فى أعماقك شخصيَّتان : إحداهما يسيِّرها عقلك الواعى ، الذى يؤمن بوطنه ، ويحارب من أجله ، والأخرى يتحكَّم فيها عقلك الباطن ، الذى يشعر بالتبرُّم من المرتب الضئيل الذى تتقاضاه ، على الرغم من تفانيك فى عملك ، ومخاطرتك بحياتك من أجل وطنك .

عقد ( نور ) ساعديه أمام صدره فى هدوء ، وهو يقول :

ــ إذن فأنت ترى أنَّ عقلى الباطن يرغب فى خيانة وطنى .



هتف ( رمزى ) :

ــ لا يا ( نور ) .. إن تحليلى النفسى هذا لا يعنى أن تخون وطنك ، فقد تكون قد حصلت على أسطوانات الكمبيوتر السِّرِّيَّة بالفعل ، ولكنك لن تسلِّمها لأعداء وطنك أبدًا ، فسيبقى عقلك الواعى كالحارس الهمام ، يحول بينك وبين الخيانة الفعلية .

لاذ الجميع بالصمت ، فيما عدا ( نور ) ، الذى عاد يسأل ( رمزى ) فى هدوء :

ــ ولكن لو أننى مصاب بانفصام الشخصية حقًّا ، فقد كان ينبغى أن يفقد عقلى ذاكرة الفترة التى تقمَّص فيها الشخصية الأخرى .

رفع ( رمزى ) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول :

ــ ليس هذا ضروريًّا يا ( نور ) ، فقد يلجأ فى هذه الحالة إلى أسلوب دفاعى ، فيختلق ذهابك إلى مكتب البريد الآلى ، ويقنعك به تمامًا ، حتى يجد تبريرًا لفترة الغياب غير المفهومة .

ثم عاد يطرق بوجهه ، مستطردًا فى مزيج من الحزن والأسف :

ــ آسف يا ( نور ) ، ولكن هذا هو التفسير المنطقى

الوحيد ، لتأكد أجهزة الفحص الأمنى ، التى لا تخطىء أبدًا ، من أنك سارق الأسطوانات .

ابتسم ( نور ) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ خطأ يا صديقى .. هناك تفسير منطقىّ آخر .

تطلّع إليه الجميع فى اهتمام ، فى حين سألته ( سلوى ) فى لهفة :

ـ ما هو يا ( نور ) ؟

لوّح بكفه ، وهو يقول :

ـ إن عمل أجهزة الفحص الأمنى يعتمد على مقارنة دلائل الشخص الذى تفحصه ، بتلك المخزونة لديه مسبقًا .

هتف ( محمود ) ، وقد أدرك ما يعنيه :

ـ يا إلهى !!.. هل تعنى ..؟

قاطعه ( نور ) فى هدوء :

ـ نعم يا صديقى .. لقد أبدل أحدهم بطاقة الكمبيوتر الخاصّة بى ، فى أرشيف أجهزة الفحص الأمنىّ الإليكترونى .

* * *

انهمكت ( سلوى ) فى تشغيل جهاز الكمبيوتر الصغير ، فى معمل الدكتور ( حجازى ) ، الذى غمغم فى قلق ، وهو يراقب ما تفعله :



ـ هل تظن أنها ستنجح ؟

أجابه ( نور ) فى هدوء :

ـ اطمئن يا دكتور ( حجازى ) ، فكل أجهزة الكمبيوتر فى ( مصر ) تتصل بخلية كمبيوترية واحدة ، نطلق عليها اسم الخلية المركزية الأم ، ولكن كل جهاز كمبيوتر له شفرة خاصة ، لا يمكنه أن يعمل بدونها ، وما تفعله ( سلوى ) الآن هو محاولة التسلّل إلى الخلية الأم ، عبر برنامج كمبيوتر معقّد ، ثم إضافة الكود الخاص بكمبيوتر أرشيف أجهزة الفحص الأمنى ، فى إدارة المخابرات العلمية ، حتى يمكنها استحضار بطاقة الكمبيوتر الخاصّة بى ، على شاشة جهازك الصغير .

عقد الدكتور ( حجازى ) حاجبيه ، وهو يقول فى مزيد من القلق :

ـ وهل تطلب منّى أن أطمئن ؟.. إن ما تفعله زوجتك بالغ الخطورة ، ولو أنها نجحت فسيعنى ذلك أنه من الممكن أن يفعل غيرها هذا ، ولو أن هذا يصلح لانتزاع معلومات خاصّة ، من أخطر أجهزة الأمن عندنا ، وهو جهاز المخابرات العلمية ، فقل على أمننا السلام .

ابتسم ( نور ) ، وهو يقول :

ـ اطمئن يا دكتور ( حجازى ) .. إن الكود الشفرى

لكمبيوتر الإدارة بالغ الصعوبة والتعقيد ، حتى ليحتاج المرء إلى سبعة آلاف مليار محاولة ، ليتوصَّل إلى رمز واحد من رموزه السبعة .

ارتفع حاجبا الدكتور ( حجازى ) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى!!.. هذا يعنى أننا نحتاج إلى مليون سنة على الأقل ، حتى ننجح فيما تفعله زوجتك يا ( نور ) .

ضحك ( نور ) ، وهو يقول :

ـ من حسن الحظ أننى أعرف الكود الشفرى يا دكتور ( حجازى ) ، فأنا واحد من فريق إدارة المخابرات العلمية الخاص ، المسموح له بمعرفة أدق أسرار الإدارة .

زفر الدكتور ( حجازى ) فى ارتياح ، قبل أن يغمغم :

ـ فى هذه الحالة فالأمر يختلف ، فلو أنك لا ..

قاطعه ( محمود ) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ مَعْذِرةً يا سيِّدى .. لقد أعددت أجهزتى .

سأله الدكتور ( حجازى ) فى دهشة :

ـ أية أجهزة ؟

أجابه ( نور ) فى هدوء :



ـ أجهزة تشبه أجهزة الفحص الأمنى فى الإدارة يا سيِّدى .. مع فارق بسيط .

وفى هدوء ألصق ( نور ) كفَّه بشاشة جهاز صغير ، يشبه جهاز الفحص الأمنى فى الإدارة ، وتعاقبت ألوان الشاشة على نفس النحو ، ثم انبعث ذلك الشعاع البنفسجى ، الذى فحص بصمات قزحية ( نور ) فى عناية ، قبل أن يصدر الجهاز أزيزًا خافتًا ، وتخرج من فتحة صغيرة فى جانبه بطاقة مغناطيسية خاصة ، تحمل كل بيانات ( نور ) ، فى نفس اللحظة التى قالت فيها ( سلوى ) :

ـ لقد وصلت إلى الخلية الأم يا ( نور ) ، وأحتاج إلى كود إدارة المخابرات العلمية .

أسرع ( نور ) إلى جهاز الكمبيوتر ، وقال لزوجته فى صرامة :

ـ ابتعدى يا ( سلوى ) .. غير مسموح للمدنيين بالاطلاع على شفرتنا الكوديَّة .

أدارت ( سلوى ) عينيها فى ضيق ، فى حين أضاف هو رموز الشفرة الكوديَّة فى سُرْعَة ، ثم أخذ يضغط أزرار الكمبيوتر فى سرعة ومهارة ، حتى ارتسمت على شاشته عدة خطوط رأسية ، فهتف ( نور ) :

ـ ها هى ذى البطاقة الإلكترونية ، التى تحمل بياناتى فى أرشيف الإدارة يا رفاق .

التقط ( محمود ) البطاقة المغناطيسية ، التى أخرجتها أجهزته ، وأسرع يدسّها فى فراغ ضيق ، فى جانب الكمبيوتر ، وهو يقول فى ثقة :

ـ أراهنكم أن الكمبيوتر سيئن من شدة الاختلاف بين البطاقتين .

ولكن عيون الجميع اتسعت فى ذهول ، وارتجفت قلوبهم فى ألم ، حينما أضاءت شاشة الكمبيوتر بضوء فيروزى هادئ ، وتراصت فوقها حروف كلمة واحدة .. « مطابقة » !!

* * *



# ٨ ـ اثنان فى واحد ..

ساد وجوم رهيب ، داخل المعمل الخاص للدكتور ( محمد حجازى ) ، وارتسم مزيج من الجزع والألم والذهول على وجوه الجميع ، وسط صمت تام ، دام طويلًا قبل أن يتسلّل صوت ( رمزى ) عَبْره فى حزن ، وهو يغمغم :

ـ أظنك تحتاج إلى علاج نفسى يا ( نور ) .

لم تغضب ( سلوى ) هذه المرَّة ، ولم تحتد ، بل أطرقت برأسها ، وتركت العنان لدموعها ، على حين أشاح ( محمود ) برأسه فى مرارة ، وبدا الدكتور ( حجازى ) جامدًا ، واجمًا ..

أمّا ( نور ) ، فقد ارتسمت الحَيْرة فى ملامحه لحظة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه فى عناد ، وهو يقول :

ـ كُلا يا ( رمزى ) .. مازلت أصرّ على أنها مجرَّد خدعة ، وإن تمَّ إحكامها ببراعة منقطعة النظير .

غمغم ( رمزى ) فى مرارة :

ـ ( نور ) .. أرجوك !!

هتف ( نور ) فى حِدَّة :

ـ لا تحاول يا ( رمزى ) .. إن عقلى يرفض الاقتناع بما تقول .. إننى أشعر أن هناك أمرًا ما ، فربما أعاد أصحاب هذه الخدعة بطاقتى الإليكترونية العاديَّة ، بعد أن أتمّوا خدعتهم ، تحسّبًا لمثل هذا الموقف .

تضاعف الحزن فى عينى ( رمزى ) ، وهو يغمغم :

ـ ( نور ) .. أنت لا تدرى ماذا تفعل .. أنت غير مسئول قانونًا عن السرقة التى ارتكبتها .. سأدلى بشهادة رسميَّة بذلك عندما ..

قاطعه ( نور ) فى غضب وانفعال :

ـ كفى يا ( رمزى ) .. لن يمكنك إقناعى أبدًا بأننى مجرَّد دُمْيَة ، يسيِّرها عقلى الـ ..

بتر ( نور ) عبارته فجأة ، وعلى نحو أثار دهشة الجميع ، وارتسم فى عينيه ذعر هائل ، وهو يغمغم فى ارتياع :

ـ يا إلهى !! .. هل من الممكن أن ...؟

مرَّة أخرى بتر عبارته دون أن يكملها ، فهتفت به ( سلوى ) فى جزع :

ـ ماذا هناك يا ( نور ) ؟

التفت إليها يسألها فى انفعال :



ـ أين والدى ؟

أثار اهتمامه المفاجئ بغياب والده دهشة الجميع ، فتطلَّعوا إليه فى حَيْرَة وتساؤل ، فى حين غمغمت ( سلوى ) :

ـ لست أدرى يا ( نور ) .. لقد بدا مذهولًا بعض الوقت ، بعد أن تم إلقاء القبض عليك فى المنزل ، ثم انصرف فجأة قبل وصول ( رمزى ) و ( محمود ) ، دون أن يخبرنى إلى أين يذهب ..

هتف ( نور ) فى قلق واضح :

ـ يا إلهى !! .. لقد أدرك ما لم أدركه أنا سوى الآن .

سأله الدكتور ( حجازى ) فى لهفة :

ـ ما الذى أدركته يا ( نور ) ؟

اجتاح ( نور ) انفعال شديد ، ظهر واضحًا فى صوته وملامحه ، وهو يقول :

ـ سأخبركم يا دكتور ( حجازى ) .. سأخبركم بما أظنه الحل الصحيح لكل ما يكتنف هذا الموقف من غموض ..

* * *

تطلَّع الدكتور ( منصور ) إلى والد ( نور ) فى برود ، وتململ فى مجلسه ، وهو يقول فى ضجر :



اجتاح ( نور ) انفعال شديد ، ظهر واضحًا فى صوته وملامحه وهو يقول :
ـــ سأخبركم يا دكتور ( حجازى ) .

ـــ ما الذى أردت مقابلتى من أجله ؟.. أنت تعلم أن وقتى ثمين و...

قاطعه الوالد فى صرامة :

ـــ ماذا فعلت بولدى يا دكتور ( منصور ) ؟

عقد الدكتور ( منصور ) حاجبيه ، وهو يتأمّل والد ( نور ) فى دهشة ، ثم لم يلبث أن استعاد بروده ، وهو يقول :

ـــ لقد أجريت له جراحة ميكروسكوبية خاصّة ، لإنقاذ حياته ، بعد ذلك الحادث الذى تعرَّض له و ..

نهض الوالد من مقعده فجأة ، وأستند براحتيه إلى سطح مكتب الدكتور ( منصور ) ، ومال بوجهه نحوه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إنه ليس حديثًا صحفيًّا يا دكتور ( منصور ) .. إننى أسألك عمَّا صنعته بعقل ابنى ؟

هتف الدكتور ( منصور ) فى حِدَّة :

ـــ هل أصابك الجنون يا رجل ؟

اعتدل والد ( نوُر ) ، وهو يقول فى غضب :

ـــ ربَّما .. ولكن هذا الجنون جعلنى أرى ما لم أره فى الوقت المناسب .

ولوّح بذراعه ، وهو يستطرد :

ــ دعنا نراجع ما حدث أيها العالم العبقرىّ .. لقد كان ابنى واحدًا من أعظم وأبرع ضباط المخابرات العلمية فى ( مصر ) ، وأكثرهم إخلاصًا لوطنه ، ثم تعرَّض فجأة لحادث غامض عجيبٍ ، كاد يُودِى بحياته ، لولا أن ظهرت أنت فجأة ، وعلى نحو مثير للعجب والدهشة .. والرِّيبة أيضًا ، فأسرعت تحمله إلى المستشفى الذى تعمل به ، والذى تمارس فيه بعض التجارب العلميَّة الغامضة ، التى ترفض الإفصاح عنها ، سوى لمساعديك ( حازم ) و ( هشام ) ، كما أثبتت تحرياتى ، التى أجريتها فى فترة انتظار قدومك ، وأجريت لولدى جراحة بارعة ، أنقذت حياته ، ثم بقيت وحدك معه بعض الوقت ، لإجراء ما أطلق عليه زملاؤك الأطباء اسم ( الفحوص الخاصَّة ) ، وبعدها تحوَّل ولدى فجأة إلى خائن ، يسرق أسرار وطنه .

صاح الدكتور ( منصور ) فى غضب :

ــ لقد جننت ولا ريب .

هتف الوالد فى صرامة غاضبة :

ــ قلت لك ربَّما ، ولكن جنونى هذا جعلنى أتصوَّر أنك



قد أجريت إحدى تجاربك الشيطانية الملعونة على ولدى ، وزرعت فى مخه شيئًا ما ، جعله رهن إشارتك ، وتدفعه إلى إتيان ما يرفضه عقله الواعى .

قفز الدكتور ( منصور ) من مقعده ، وهو يصرُخ فى ثَوْرة :

ــ غادِرْ مكتبى أيُّها المجنون ، وإلَّا أمرتهم بإلقائك خارجًا ..

اعتدل الوالد فى صرامة ، وهو يقول فى حزم مخيف :

ــ سأغادر مكتبك أيها المجرم ، لأننى لا أملك الدليل الكافى بعدُ لإدانتك ، ولكننى لن أتركك لتواصل عملك الحقير الشرير هذا ، وثق أنك ستدفع الثمن .. وهذا وعد .

* * *

هتف الدكتور ( حجازى ) فى دهشة ، بعد أن استمع الجميع إلى ( نور ) :

ــ ولكن هذا مستحيل يا ( نور ) !!.. لو أن الدكتور ( منصور ) قد فعل هذا ، لكان من الضرورىّ أن يفعله فى حجرة العمليات الجراحية ، أمام أعين معاونيه ، وهذا مستحيل .

قال ( نور ) فى صرامة :

ــ إنها جراحة ميكروسكوبية يا دكتور ( حجازى ) ، ومن الممكن أن يكون حجم ذلك الجهاز ، الذى زرعه فى مخّى ، صغيرًا إلى الحدِّ الذى يمكّنه من إضافته ، دون أن يلحظ معاونوه ذلك .

تسلَّل الشكّ إلى صوْتِ ( رمزى ) ، على الرَّغم منه ، وهو يغمغم :

ــ إنه تفسير عجيب يا ( نور ) .

وهتف ( محمود ) فجأة :

ــ ولكن يمكن التأكّد منه .

سأله الجميع فى آن واحد :

ــ كيف ؟

هتف فى حماس :

ــ بفحوص الأشعة .

وكأنما شعر أن عبارته لا تكفى ، فأسرع يستطرد فى حماس :

ــ أيًا كان حجم وشكل هذا الشىء ، فهو يختلف قطعًا عن الخلايا الطبيعية فى المخ ، وباستخدام أشعة



( رونتجن ) (*) ، يمكننا الحصول على صور واضحة لأى جسم غريب فى مخ ( نور ) ، ويمكننا أيضًا تكبير الصُّوَر بالكمبيوتر ، وكشف أى اختلاف بين ذلك الجسم والخلايا الطبيعية للمخ ، مهما كان ضئيلاً .

انتقل حماسه إلى الدكتور ( حجازى ) ، الذى هتف بدوْره :

ــ يمكننا التأكُّد من ذلك فورًا .. عندى هنا فى معملى جهاز لأشعة ( رونتجن ) .

صاحت ( سلوى ) فى أمل :

ــ نعم .. فلنبدأ فورًا .

ثم استطردت فى صوت مختلج :

ــ ربَّما عثرنا على دليل براءتك يا ( نور ) .

* * *

كان الغضب يعصف بوالد ( نور ) ، وهو يغادر المستشفى

---

(*) يطلق عليها اسم الأشعة السينية ، أو أشعة ( إكس ) ، ولقد اكتشفها العالم الفيزيائى ( فيلهلم كونراد رونتجن ) ( ١٨٤٣ ــ ١٩٢٣ ) ، ونال عنها جائزة ( نوبل ) للفيزياء ، عام ١٩٠١ .

فى خطوات واسعة سريعة ، ولكن طبيبًا شابًّا أسرع خلفه ، واستوقفه قائلًا :

ــ مهلًا يا سيِّدى .. لحظة أرجوك .

توقَّف والد ( نور ) ، والتفت إلى الشاب فى حِدَّة ، فابتسم الشاب وهو يقول فى هدوء :

ــ هل تسمح لى بالتحدّث إليك بعض الوقت ؟

سأله الوالد فى لهجة جافّة :

ــ من أنت ؟

حافظ الطبيب الشاب على ابتسامته ، وهو يقول :

ــ أنا مساعد الدكتور ( منصور ) ، وكنت فى طريقى لتناول طعام الغذاء فى المطعم الآلى ، فى نهاية الشارع .. هل تسمح لى بدعوتك لمشاركتى .

أجابه الوالد فى عصبية :

ــ هذا يتوقَّف على أهمِّيَّة ما لديك .

اتسعت ابتسامة الشاب ، وهو يقول :

ــ إنه أمر يتعلَّق بابنك الرائد ( نور ) .

اختلج قلب الأب بين ضلوعه ، وهو يقول فى عصبية زائدة :



ــ ماذا تعرف عمّا أصاب ( نور ) ؟

أمسك الطبيب الشاب ذراع الوالد فى رفق ، وقاده فى هدوء إلى سيارته الصاروخية الصغيرة ، التى تتوقَّف فى المكان المخصَّص لانتظار سيَّارات أطباء المستشفى ، وهو يقول :

ــ رُوَيْدَك يا سيِّدى .. سأخبرك بكل شىء .. سنذهب فى سيارتى إلى المطعم الآلى أوّلًا .

أسرع الوالد يركب سيَّارة الطبيب الشاب ، الذى أدار محرِّك سيارته ، وانطلق بها فى هدوء ، والوالد يسأله فى توتُّر بالغ :

ــ هيَّا .. أخبرنى ماذا لديك ؟

ابتسم الطبيب الشاب ، وهو يقول :

ــ لقد سمعت حديثك مع الدكتور ( منصور ) ، وأحب أن أبلغك أنك مخطئ .

عقد الوالد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ هل أرسلك لتبلغنى ذلك ؟

ظلَّ الطبيب الشاب هادئًا مبتسمًا ، وهو يقول :

ــ إنه لا يعلم شيئًا عن قدومى إليك ، ولكن أسلوبك العنيد هذا قد يفسد كل شىء .

على الرغم من ابتسامة الطبيب وهدوئه ، إلّا أن قلقًا خفيًّا تسلّل فجأة إلى قلب والد ( نور ) ، فتطلّع إلى الطريق فى توتُّر ، وهو يقول :

ـ كيف سمعت حديثى مع الدكتور ( منصور ) ، لقد كانت حجرته مغلقة ، وجدرانه عازلة للصوت ؟.. ثم لماذا تجاوزت حدود المدينة ؟.. ألم تقل إننا ..؟

بتر الوالد عبارته فجأة ، وارتسم الجزع فى ملامحه وعينيه ، وهو يدير رأسه إلي الطبيب الشاب فى حركة حادّة ، هاتفًا :

ـ يا إلهى !!.. إذن فهو أنت ؟!! .

تحوّلت ابتسامة الطبيب الشاب إلى زمجرة شرسة ، وهو يقول :

ـ نعم .. إنه أنا .

وفجأة ضغط زرًّا صغيرًا فى عجلة القيادة ، اندفع على أثره رذاذ قوىّ من سائل مخدّر فى وجه الأب ، الذى فقد وعيه فورًا ، فى حين أوقف الطبيب الشاب سيارته ، وغمغم فى سخرية ، وهو يخفى أنفه وفمه بكفه :



ـ معذرة أيها العنيد .. لابدّ من التوقُّف حتى لا أفقد وعيى إلى جوارك .

وانطلقت من حنجرته ضحكة ساخرة مخيفة ..

* * *



# ٩ ـــ الهجوم الليلىّ ..

توقَّفت سيارة صاروخية صغيرة فى بداية الطريق ، المؤدِّى إلى منزل الدكتور ( حجازى ) ، مع غروب الشمس ، والتفت قائدها إلى الشابّ الجالس إلى جواره ، والذى يخفى وجهه بضمادات كثيفة ، وسأله فى اهتمام ؟

ــ هل أنت واثق من أنه هنا ؟

أجابه الشابّ فى هدوء :

ــ تمام الثقة .

تطلَّع قائد السيَّارة مرَّة أخرى إلى الطريق ، وهو يغمغم فى قلق :

ــ إنهم يراقبون المكان .

عاد الشابُّ يقول فى هدوء :

ــ لو سارت الخطة كما وضعتها تمامًا ، فلن يجديهم هذا .

ابتسم قائد السيَّارة ، وهو يقول :

ــ يبدو أن عبقريَّتك ستفيدنا كثيرًا .

أجابه الشابّ فى برود :

ــ أكثر مما تتوقَّعون .



ساد الصَّمت بينهما لحظات ، قبل أن يغمغم قائد السيَّارة ..

ــ ومتى تبدأ ؟

استرخى الشابّ فى مقعده ، وهو يقول :

ــ حينما يحين الوقت المناسب .. اطمئن .

وأسبل عينيه ، وهو يستطرد فى هدوء :

ــ لكل شىء وقته يا صديقى .. حتى إصابة غريمنا العزيز بالجنون .

* * *

استسلم ( نور ) تمامًا لـ ( محمود ) ، الذى انهمك فى التقاط صُوَر أشعة ( رونتجن ) ، ونقلها إلى شاشة الكمبيوتر ، حيث وقف الدكتور ( حجازى ) ، و ( رمزى ) ، و ( سلوى ) يراقبونها فى اهتمام ، وأخذ الدكتور ( حجازى ) يصف ما يراه ، قائلًا :

ــ خلايا المخ تبدو طبيعية .. لا توجد أجسام غريبة بينها .

ثم أردف فى اهتمام :

ــ ضاعف الحجم خمس مرات يا ( محمود ) .

ضغط ( محمود ) أزرار جهاز الفحص الإشعاعى فى سرعة ، فتضاعف حجم الصورة خمس مرات ، وبدأت شاشة الكمبيوتر تعرض أجزاء الصورة المكبَّرة بالتتابع ، حتى غمغم الدكتور ( حجازى ) فى توتُّر :

ــ لا شىء .. فلنضاعفها عشر مرَّات .

عاد ( محمود ) يضاعف حجم الصُّورَة ، والجميع يفحصون المَشْهَد فى قَلَق ، وتوتُّرهم يتصاعد مع كل جزء يعرضه الكمبيوتر ، حتى أعلن الكمبيوتر انتهاء عرض جميع أجزاء الصُّورة ، المضاعفة عشر مرات ، وتكرَّر الأمر أكثر من مرَّة ، حتى ضاعف الكمبيوتر حجم الصورة لألفى مرَّة ، وهنا سالت الدموع من عينى ( سلوى ) ، وأطرق ( رمزى ) فى أسف ، فى حين غمغم الدكتور ( حجازى ) فى حزن بالغ :

ـــ لا شىء يا ( نور ) .. لا توجد أية أجسام غريبة فى مخِّك .

ارتسمت حَيْرة بالغة على وجه ( نور ) ، ولأوَّل مرَّة بدأ عقله يميل إلى نظرية ( رمزى ) ، وهو يغمغم فى تخاذل :

ـــ ولكن .. ولكن ..

وعجز عقله ولسانه عن إتمام العبارة ، فربَّت ( رمزى ) على كتفه فى رِفْق ، وهو يقول فى إشفاق :

ـــ حاول أن تقتنع بنظريتى يا ( نور ) .

تضاعفت الحَيْرَة المرتسمة على وجه ( نور ) ، وأطلَّ من عينيه تخاذل شديد ، وهو يُطْرِق بوجهه أرضًا ، دون أن يَنْبِسَ بِبنْتِ شَفَة ، وران صمْت ثقيل على المكان ، قبل أن يتمتم



الدكتور ( حجازى ) فى صوت بالغ الخُفوت ، كان من المستحيل سماعه ، لولا ذلك الصَّمْت المُطبق :

ـــ هل يمكن أن يعاونه هذا على الحصول على البراءة ؟

تبخَّر سؤاله هذا فى صَمت الحجرة ، دون أن ينال جوابًا له ، ثم تحرَّكت ( سلوى ) نحو ( نور ) ، ووضعت يدها على كتفه فى حنان ، وهى تغمغم فى حزن :

ـــ ( نور ) .. إننى ..

قاطعها ( نور ) فى صوت يقطُرُ حزنًا ومرارة :

ـــ اتركونى وحْدِى .

تبادل الجميع نظرات قلقة ، قبل أن يستطرد هو :

ـــ إننى أحتاج إلى البقاء وحدى لدراسة الأمر ، وأعِدُكم بأن أستسلم لقراركم تمامًا ، ما لم أجد تفسيرًا منطقيًا ، يخالف نظرية ( رمزى ) .. ولن يتجاوز ذلك الثامنة من صباح غد .

عاد الجميع يتبادلون تلك النظرة القلقة ، قبل أن يقول ( رمزى ) فى هدوء :

ـــ وهو كذلك يا ( نور ) .. إلى الثامنة من صباح الغد .

* * *

كان الرجلان المكلَّفان مراقبة منزل الدكتور ( حجازى ) ، يجلسان فى سيارتهما ، حينما انبعث صوت عَبْرَ جهاز البثّ الخاصّ بهما يقول :

ــ إلى السيَّارة ( ٦٠٠ ) .. اتجهوا فورًا إلى حىّ ( مصر الجديدة ) .. لقد شوهد الضابط الخائن هناك .

أسرع الرجل الجالس خلف عجلة القيادة ، يدير محرِّك السيارة ، فى حين قال الآخر فى شك :

ــ انتظر .. ربَّما كانت خُدعة .

ابتسم الرجل ، وهو يقول :

ــ أية خدعة يا صديقى ؟ .. أنت تعلم مثلى أن موجة البثّ هذه بالغة السِّرِّيَّة .

كان هذا القول يكفى ليستسلم الآخر تمامًا ، وتنطلق السيَّارة مبتعدة ، ولم تكد تفعل حتى انطلقت السيَّارة الأخرى ، التى كانت تنتظر عند بداية الطريق ، حتى وصلت إلى منزل الدكتور ( حجازى ) ، وهبط منها الشابّ الذى تخفى الضمادات وجهه ، فى حين قال الآخر فى إعجاب :

ــ أنت عبقرىّ بالفعل .. إن إرسالنا هذه الرسالة على موجة البثّ البالغة السِّرِّيَّة ، جعلهم ينصرفون دون أدنى شك .



أجابه الشابّ فى برود :

ــ كنت أعلم ذلك .

ثم أسرع نحو معمل الدكتور ( حجازى ) الخاص ، وهو يردف فى صرامة :

ــ انتظرنى .. لن يطول الأمر كثيرًا ، ولن يلبث صاحبنا أن يصاب بجنونٍ حقيقىّ .

* * *

جلس ( نور ) وحيدًا صامتًا فى معمل الدكتور ( حجازى ) الخاصّ ، وهو يعقد حاجبيه ، ويشبِّك أصابع كفَّيْهِ أمام وجهه ، وعقله يسعى جاهدًا للبحث عن تفسير مُقنِعْ ، قبل أن يستسلم لنظرية ( رمزى ) ، التى تؤكِّد إصابته بانفصام الشخصيَّة ..

ولكن كل الأبواب بدت أمام عقله سميكة مُوصَدَة ..

كل الحلول والتفسيرات كانت تنتهى إلى نهاية مبتورة ، معقَّدة ، تزيد من حيرته وارتباكه ..

واستغرقه التفكير ، حتى أنه لم يشعر بباب المعمل الخاصّ ، وهو يُفْتَح خلْفَه فى هدوء ، ولا بذلك الشابّ ، الذى يخفى وجهه بالضِّمادات ، والذى اقترب منه بخُطُوات حَذِرة خافِية ..



كانت مفاجأة شديدة لـ ( نور ) إلَّا أنه تحرَّك فى سرعة ، فدفع المقعد الذى يجلس عليه إلى الخلف ، ليرتطم بالشابّ .

لم ينتبه إلى ذلك ، حتى أصبح الشابُ خلفه تمامًا ، وقبل أن يتحرَّك أحاطت ذراع الشابّ بعنقه فى قوَّة ..

كانت مفاجأة شديدة لـ ( نور ) ، إلَّا أنه تحرَّك فى سرعة ، فدفع المقعد الذى يجلس عليه إلى الخلف ، ليرتطم بالشابّ ، الذى تخلَّى عن عنقه ، وتراجع إلى الخلف ، واتخذ وقْفَةً قتاليَّة لمواجهته ، وقفز ( نور ) ، ودار على عقبيه لمواجه خصْمه ..

وعلى الرغم من تلك الضِّمادات ، التى تخفى وجه الشابّ تمامًا ، فيما عدا عينيه ، إلَّا أن وَقْفَته القتاليَّة ، وبريق عينيه ، وحتى ثيابه ، بدت كلها مألوفة إلى حدّ كبير ، مما جعل ( نور ) يسأله فى توتُّر :

ــ مَنْ أنت ؟.. وماذا تريد ؟

خُيِّل لـ ( نور ) أن الشابَّ قد ابتسم فى سخرية ، وأن ابتسامته مألوفة إلى حدٍّ كبير ، ومخيف ، على الرغم من الضِّمادات التى تخفيها ، وشعر أن شيئًا ما فى أعماقه يرفض مهاجمة هذا الشابّ ، الذى لاذَ بالصَّمْت تمامًا ، مما دفع ( نور ) إلى أن يكرِّر بمزيد من التوتُّر :

ــ مَنْ أنت ؟ ..

وفجأة استلّ الشابُ من جيب سُتْرته مُدْيَة ، شهرها فى وجه ( نور ) ، الذى عقد حاجبيه فى صرامة ، وهو يقول :

— مُدْيَة ؟!.. إن أحدًا لم يعد يستخدم تلك الأسلحة البيضاء منذ بداية القرن الحادى والعشرين !.. لاريب أنك شديد التخلُّف يا فتى أو ..

اتسعت عيناه فجأة فى دهشة بالغة ، حينما أدار الشاب نصل المُدْية إلى كفه ، وجرح راحته عَمْدًا ، ثم قبض قبضته فى قوَّة ، وترك بعض قطرات الدَّمِ تسيلُ من جُرْحه ، لتستقر على أرض المعمل ، فهتف ( نور ) فى مزيج من الدهشة والعصبية :

— أنت مجنون .. مجنون ولاشكَّ .

وفجأة انقضَّ الشاب عليه ، وهمّ بطعنه فى ذراعه ، فقفز ( نور ) جانبًا ، وتحرَّكت قبضته فى سرعة ، لتقبض على مِعْصَم الشابّ ، ثم طوَّح قبضته فى فكِّه ، ولكن الشابّ تفادى اللكمة فى براعة ، ثم لكم ( نور ) فى معدته بقوَّة ..

واحتمل ( نور ) اللكمة ، على الرغم من قوَّتها ، ومال جانبًا فى سرعة ، ثم غاص بجسده إلى أسفل ، وركل الشاب فى ساقه بقوَّة ، ثم دفعه ليسقط أرضًا ، وقفز فوقه قابضًا على معصم يده الممسكة بالمُدْيِة ، ثم انتزع الضمادات التى تُخْفى وجهه ، وهو يقول فى صرامة :

— دعنا نتعارف أوّلًا أيها الوَغْد ، قبل أن تحاول قتل ..

اختنقت حروف الكلمة الأخيرة فى حلق ( نور ) فجأة ، وشمله الذهول من قمة رأسه حتى أخمص قدمَيْه ، وهو يحدِّق



فى وجه الشابّ ، الذى انكشفت عنه الضمادات ، ومضت ثوان قبل أن يخرج صوته من بيْنِ شفتيه جافًا ، خشنًا ، متحشرجًا ، وهو يهتف :

— مستحيل !!

وفجأة تخلَّص الشابّ من قبضة ( نور ) مستغلًا ذلك الذهول ، الذى يسيطر عليه تمامًا ، وطعنه بالخنجر فى ذراعه طعنة خاطفة ، ثم لكمه بقبضته الأخرى لكمة قويَّة ، ألقته من فوقه ، واندفع نحو باب المعمل ، ودلف منه إلى السيَّارة الصاروخية التى تنتظره ، وقفز داخلها ، فانطلقت به فورًا ، فى حين بَقِى ( نور ) يتطلَّع إليْه فى ذُهول ، ولسانه يردِّد كلمة واحدة :

— مستحيل !! مستحيل !!

* * *

# ١٠ ــ المــرآة ..

أشارت عقارب الساعة إلى تمام العاشرة مساءً ، حينما توقَّفت سيَّارة ( رمزى ) الصاروخية أمام معمل الدكتور ( حجازى ) الخاص ، وقفز هو منها فى قلق واضح ، واندفع نحو المعمل ، وهتف بالدكتور ( حجازى ) ، الذى ينتظره أمام الباب :

ــ ماذا حدث يا دكتور ( حجازى ) ؟.. لم أكد أصل إلى منزلى حتى طلبت منى العودة فورًا !.. ولماذا طلبت منى عدم إبلاغ ( سلوى ) و ( محمود ) ؟

ربَّت الدكتور ( حجازى ) على كتفه ، وإن ظلَّت ملامحه تحمل ذلك القلق الذى استقبل به ( رمزى ) ، وهو يقول :

ــ لم أشأ إزعاجكم جميعًا يا ( رمزى ) .. ثم إنك تكفى وحدك فى هذا الموقف .

قفزت العبارة بقلق ( رمزى ) إلى ذِرْوَته ، وهو يهتف :

ــ ماذا حدث بالله عليك يا دكتور ( حجازى ) ؟

أشار إليه الدكتور ( حجازى ) أن يَخْفِض من صوته ، وهو يقول :

ــ لقد سيطر على الأرق ، بعد أن تركنا ( نور ) وحده فى



معملى ، وساوَرَنى القلق عليه ، فتسلَّلت إلى المعمل ؛ لأطمئن عليه ، ولكننى فوجئت به مصابًا فى ذراعه ، ودماؤه تنزف فى غزارة .

هتف ( رمزى ) فى ذعر :

ــ يا إلهى !!

أشار إليه الدكتور ( حجازى ) مرَّة أخرى أن يخفض من صوته ، ودفع باب معمله الخاصّ ؛ ليقوده إلى الداخل ، وهو يقول :

ــ اطمئنّ يا وَلَدِى .. لقد ضمَّدْتُ جراحه ، ولكنه يريد رؤيتك .

اندفع ( رمزى ) داخل المعمل ، وأسرع نحو ( نور ) ، هاتفًا فى جزع :

ــ ( نور ) .. هل أنت بخير ؟

أجابه ( نور ) فى توتُّر واضح :

ــ نعم يا ( رمزى ) .. ولقد عثرت على الدَّليل ، الذى يؤكِّد خطأ نظريتك .

غمغم ( رمزى ) فى دهشة :

ــ الدَّليل ؟!

أجابه ( نور ) فى انفعال :

ـ نعم يا ( رمزى ) .. الدّليل .. هناك وَغد ينتحل شخصيتى .. وأعتقد أنه قد أُجرِيَتْ له جراحةُ تجميلٍ بارعة ، فملامحه تطابق ملامحى ، كأنما هى صورتى فى مرآة ، ولقد هاجمنى الليلة ، وأحدث بذراعى هذا الجرح ، ولكنه ـ ولسبب أجهله ـ ترك خلفه دليلَيْنِ قويّين ، يمكنهما أن يقودانا إليه .

سأله ( رمزى ) فى مزيج من الحَيْرة والشّك :

ـ أىّ دليلَيْن يا ( نور ) ؟

هتف ( نور ) ، وهو يشير إلى بقعة دم صغيرة :

ـ بضع نقاط من دمه ، وبصمات أصابعه على المُدْيَةِ التى طعننى بها ، وكلاكما ـ الدكتور ( حجازى ) وأنت ـ تعلمان أن العلم الحديث قد أثبت أن قطرة الدماء هى بمثابة بصمات الأصابع تمامًا ، ومن المستحيل أن يتشابه فيهما مخلوقانِ فى العالم أجمع(*) ، وسجلّات كل مواطن فى جمهوريّة مصر

(*) أثبت العلم الحديث بالفعل أن قطرة الدم تحوى العديد من العوامل ، بخلاف الفصيلة ، والإيجابية والسلبية ، مثل عامل (ن) ، وعامل (س) ، وغيرهما ، وكل عامل من هذه العوامل ينقسم إلى فصائل فرعية ، مما يجعل الدم ـ مستقبلًا ـ وسيلة لتحديد الهُويَّة ، تصل إلى نفس دقة بصمات الأصابع .



العربية تحوى بصماته ، وتحليل دمه ، وإذا ما قمنا برفع بصماته عن مقبض المُدْيَة ، وتحليل قَطْرة دمه ، فَسيمكننا بواسطة الكمبيوتر أن نعلم مَنْ هو .

صمت ( رمزى ) ، وهو يتأمّل ( نور ) فى ريبة ، حتى أن هذا الأخير هتف فى عصبيّة :

ـ ألا تصدّقنى يا ( رمزى ) ؟

أجابه ( رمزى ) فى هدوء :

ـ بَلَى ، أصدّقك يا ( نور ) ولكن ..

قاطعه ( نور ) فى حِدّة :

ـ ولكن ماذا ؟

تنهّد ( رمزى ) ، وتردّد لحظة ، قبل أن يقول :

ـ إن حديثك هذا يتفق مع الإصابة بانفصام الشخصية يا ( نور ) ، فلقد بقيت هنا وحدَك ، تجهد عقلك فى محاولة لإثبات عدم إصابتك بالـ( سكيزوفرانيا ) ، ولما عجز عقلك عن ذلك ، ابتكر ذلك القتال الوهمىّ ، ولكنه لم ينجح فى طمْسِ حواسّك تمامًا ، جعل غريمك فى صورة تشبهك تمامًا ؛ لأنه لم يكن فى الواقع سوى أنت ، ولقد طعنت نفسك بالُمدْيَة ، التى ربّما كنت تحملها دون أن تَدْرِى ، ثم ألقيت

المُدْيَة، وعاد إليك عقلك الواعى، فتصوَّرْت أنَّك كنت غُرْضَة لهجومٍ ليلّى و ..

قاطعه ( نور ) فى عصبية :

ـــ أى هراء هذا ؟

عقد ( رمزى ) حاجبيه، وهو يقول فى صرامة :

ـــ لو أنه مجرَّد هراء يا ( نور )، فهل يمكنك أن تخبرنى كيف نجح هذا المهاجم المجهول، الذى يشبهك تمامًا، فى الدخول إلى هنا، ومهاجمتك، ثم الفرار دون أن يجذب وجهه، الذى يبحث عنه كل رجل شرطة فى ( مصر )، انتباه الرجال الذين يراقبون منزل الدكتور ( حجازى )، ومعمله الخاص ؟

هتف ( نور ) فى حِدَّة :

ـــ لست أدرى كيف حدث هذا، ولكن رفع البصمات، وتحليل الدم سيثبتان أننى على حق .

عاد ( رمزى ) يتنهَّدُ فى أسف، ثم قال :

ـــ حسنًا .. هل لك أن تسمح لنا إذن برفع بصماتك، وتحليل دمك للمقارنة ؟

أجابه ( نور ) فى صرامة :

ـــ نعم .



أومأ ( رمزى ) برأسه متفهِّمًا، ثم التفت إلى الدكتور ( حجازى )، قائلًا :

ـــ فلنبدأ يا سيِّدى .

* * *

استعاد والد ( نور ) وعيه فى بطء، وشعر بصداع شديد يكتنف رأسه، وبثقل فى جفنيه، حتى أنه بذل جهدًا كبيرًا ليفتح عينيه، ولكنه لم يكد يتطلَّع إلى الشَّاب الجالس، على مقربة من الفراش الذى يرقد فوقه، حتى هبَّ جالسًا، وهو يهتف فى ارتياح :

ـــ ( نور ) .. ولدى! .. هل كشفت اللعبة ؟ .. هل ألقيت القبض على الدكتور ( منصور ) ومساعديه ؟

ابتسم الشابّ الجالس إلى جواره، وهو يقول فى سخرية :

ـــ كلَّا بالطبع .. كيف يُلْقِى المرء القبضَ على أصدقائه ؟

حدَّق الأب فى وجهه بدهشة، واضطرب قلبه بين ضلوعه فى قوَّة ..

كان الشابّ الجالس أمامه يملك كل ما يملكه ابنه .. صوته، ملامحة، خلجاته، سكناته ..

ولكنه لم يكن هو ..



ولكنه لم يكد يتطلَّع إلى الشَّاب الجالس ، على مقربة من الفراش الذى يرقد فوقه ، حتى هبَّ جالسًا .

شىء ما فى أعماقه أنكر أن يكون هذا هو ابنه ..

شىء دفعه إلى أن يسأله فى توتُّر :

ــ مَنْ أنت ؟

رفع الشابّ حاجبيه فى دهشة ، بدت لعينَى الأب مُصْطَنَعة مَمْجُوجَة ، وهو يقول فى لهجة أقْربَ إلى السخرية :

ــ مَنْ أنا ؟ . يا له من سؤال يا أبتاه !! أنا ابنك الوحيد ، الرائد ( نور الدين ) !!

تراجع الأب ، وهو يقول فى حِدَّة :

ــ كلَّا .. إنك لست ابنى .

اتسعت ابتسامة الشاب الساخرة ، وهو يميل نحوه ، قائلًا :

ــ ولنفرض .. هل يمكنك إثبات ذلك ؟

تحوَّلت لهجة الأب إلى العصبيَّة ، وهو يقول :

ــ بالتأكيد .. هناك عشرات الوسائل لإثبات ذلك .

أجابه صوت من خلفه ، يقول فى برود :

ــ ستعجز كلها عن ذلك .

التفت الأب إلى مصدر الصوت فى حِدَّة ، وارتسمت الكراهية فى ملامحه ، وهو يحدِّق فى وجه صاحب الصوت ، وهو يقول :

— إذن فهو أنت .. أنت مساعد الدكتور ( منصور ) .

ابتسم الرجل فى سخرية ، وهو يقول :

— نعم .. هو أنا .

أشار والد ( نور ) إلى الشاب الذى يشبه ابنه ، وهو يقول فى غضب :

— دع هذا المدّعى يتوقّف عن تمثيل دَوْرِه ، إنه لن يخدع أجهزة الفحص ، التى ستثبت أنه ليس ( نور ) .

جلس مساعد الدكتور ( منصور ) فى هدوء ، وهو يقول :

— أتحدّاك ..

ثم مال نحوه مستطردًا فى زَهْوٍ :

— أدقّ وأحدث أجهزة الفحص لن يمكنها أن تنفِى أننى الرائد ( نور الدين ) ، ضابط المخابرات العلمية العبقرىّ ، فأنا لا أحمل وجه ( نور ) وصوته فحسب ، بل عروقه وعقله ، وحتى ذاكرته .

وامتزج الزَّهْوُ بالسخرية فى صوته ، وهو يُرْدِفُ :

— لأننى باختصار جزء منه .

هتف الوالد فى دهشة :

— جزء منه ؟!.. ماذا تعنى ؟



جاءه الجواب على هيئة ضحكة ..

ضحكة ساخرة شرِّيرة ..

* * *

شحب وجه الدكتور ( حجازى ) ، وهو يزيح المُدْيَة جانبًا ، ويلتفت إلى ( نور ) ، قائلًا فى صوت متحشرج مخنوق :

— إنها بصماتك أنت يا ( نور ) .

تنهَّد ( رمزى ) فى أسف ، على حين حدَّق ( نور ) فى وجه الدكتور ( حجازى ) فى ذهول ، ثم لم يلبث أن لوَّح بذراعه ، وهو يهتف فى توتُّر بالغ :

— البصمات يمكن افتعالها وتقليدها يا دكتور ( حجازى ) ، وأنت تعلم ذلك ، فمن السهل أن تطبع بصمات شخص ما على غلاف من المطاط الرقيق ، وترتديه فوق أصابعك و ..

قاطعه ( رمزى ) فى صرامة :

— وماذا عن تحليل الدم يا ( نور ) ؟

امْتَقَعَ وجْهُ ( نور ) ، وهو يغمغم :

— أنت تعلم أنه من المستحيل أن يتطابق تحليلَى الدم يا ( رمزى ) و..

قاطعه الدكتور ( حجازى ) هذه المرَّة ، قائلًا :

ــ ولكنهما متطابقان يا ( نور ) .. كل قطرة دم فى هذه الحجرة من دمك أنت ..

شحب وجه ( نور ) ، حتى بات يحاكى وجوه الموْتى ، وهو يغمغم فى ذُهول :

ــ ولكن هذا مستحيل !! مستحيل !!

ربَّت ( رمزى ) على كتفه فى إشفاق ، وهو يغمغم فى خُفوت :

ــ إنها الحقيقة يا ( نور ) ، لا مفرَّ من الاعتراف بأنك مصاب بانفصام الشخصية .

انبعث فجأة صوْتٌ صارم يقول :

ــ لا داعِىَ .. لن تنطلِىَ هذه الخِدْعَة على المحقِّقين .

التفت الجميع فى حركة حادَّة إلى مصدر الصوت ، فطالعهم وجه الرائد ( فهمى ) ، الذى يقف بباب المعمل ، مستطردًا فى صرامة :

ــ أعتقد أن أفضل ما تفعله الآن هو الاستسلام أيها الرائد ( نور الدين ) .

وصمت لحظة ، قبل أن يردف فى حزم :

ــ سابقًا .

* * *



# ١١ ــ وأطبقَ الفخ فكَّيْهِ ..

خيِّل للدكتور ( حجازى ) أن الزمن قد توقَّف فجأة ، حينما تجمَّد الموقف تمامًا داخل معمله الخاص ، لولا أن غمغم ( نور ) فى استسلام واستكانة :

ــ كيف عرفت أننى هنا ؟

أجابه الرائد ( فهمى ) فى هدوء :

ــ لقد تلقَّى ، رجلانا ، اللذان كلَّفناهما مراقبة معمل الدكتور ( حجازى ) ، إشارة زائفة على موجة البثِّ الخاصَّة ، البالغة السِّرِّيَّة ، تطلب منهما ترك المكان ، والتوجّه إلى ( مصر الجديدة ) ، بحجة إلقاء القبض عليك هناك ، ولمّا كانت تلك الموجة من السِّرِّيَّة ، بحيث لا يعرفها سوى ضباط المخابرات العلمية وحدهم ، فقد قدَّرت أنك أنت الذى أرسلتها ، ولم يكن هناك فى نظرى تفسير لذلك ، أو تبرير له ، سوى أنك أردت التسلّل إلى هنا ، دون أن يلمحك الرجلان .

هتف ( رمزى ) فى دهشة :

ــ هل فعلت ذلك يا ( نور ) ؟

هزَّ ( نور ) رأسه فى حَيْرة ، وهو يغمغم :

ـ لست أدرى يا ( رمزى ) .. لم أعد أدرى .

شعر ( رمزى ) بالإشفاق الشديد على ( نور ) ، الذى يراه لأوَّل مرَّة فى حياته بهذا الضعف والتخاذل ، وتمنَّى لو أن كل ما يحدث ليس إلَّا كابوسًا سخيفًا ، لن يلبث أن ينتهى حينما يستيقظ من نومه ، ولكن الرائد ( فهمى ) أصرَّ على أن يؤكِّد له أنه يحيا واقعًا ، حينما عاد يقول فى صرامة :

ـ والآن يا ( نور ) ، أتنوى الاستسلام بلا قتال ، أم تفضِّل صراعًا عنيفًا قاسيًا ؟ .. وقبل أن تجيب من الأفضل أن تعلم أن المكان كله محاصر برجال الشرطة ، والأوامر الصادرة إليهم تقضى بمنعك من الفرار هذه المرَّة ، مهما كان الثمن .

رفع إليه ( نور ) عينين ارتسم فيهما كل الألم ، والحزن ، والمرارة ، والحَيْرة ، وهو يقول فى استسلام :

ـ لا داعِىَ يا ( فهمى ) .. أنا رهن إشارتك .

تنهَّد ( فهمى ) فى ارتياح ، وقال وهو يتقدَّم نحوه :

ـ إننى أفضِّل ذلك .

واستعاد صوته صرامته ، وهو يضع يده على كتف ( نور ) ، قائلًا :

ـ إننى ألقى القبض عليك بتهمة الخيانة يا ( نور ) .

* * *



ران صمت رهيب على المكان ، بعد أن انصرف رجال الشرطة ، وهم يحملون ( نور ) فى سيارتهم ، وشعر الدكتور ( حجازى ) أن ذلك الحزن الذى يملأ قلبه ، يفوق حزن أهل الأرض أجمعين ، فى حين ترقرقت الدموع فى عينى ( رمزى ) ، وهو يغمغم فى أسى :

ـ ما زلت لا أصدِّق ما حدث .. ما زلت أكره أن أتصوَّر ( نور ) ، وهو يخطو داخل إدارة المخابرات العلمية مُتَّهَمًا ، بعد أن كان يَلِجُهَا ضابطًا شامخًا .

غمغم الدكتور ( حجازى ) فى حزن هائل :

ـ دوام الحال من المحال يا ولدى .

وخامره شعور قوىّ بالرغبة فى البكاء ، فأشاح بوجهه إلى داخل معمله ، مستطردًا :

ـ ومَنْ يدرى ؟.. ربَّما تبدَّلت الأمور ، أو ..

ابتلع الجزء الباقى من عبارته فجأة ، قبل أن يبلغ شفتيه ، وهو يحدِّق فى جزء من أرض معمله ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ ما هذا ؟

التفتَ إليه ( رمزى ) فى حيرة وتساؤل ، ورآه يسرع

الخطا إلى حيث استقرّ ميكروسكوبه الأيونى الخاص ، وينحنى ليلتقط لفافة بيضاء ، من ذلك الفراغ الضيّق بين الميكروسكوب وصوان الآلات ، فسأله ( رمزى ) :

ــ ما هذا ؟

رفع الدكتور ( حجازى ) اللّفافة أمام وجه ( رمزى ) ، فإذا بها مجموعة من الأربطة والضّمادات الطبّيّة ، تمزّقت أطرافها على نحو ما ، فغمغم ( رمزى ) ، وهو يتطلّع إليْها فى حَيْرة :

ــ ماذا يعنى هذا ؟.. إنها مجرَّد أربطة طبّيّة !

قال الدكتور ( حجازى ) فى اهتمام بالغ :

ــ هذا صحيح ، ولكن السؤال هو : ما الذى أتى بها إلى هنا ؟

عقد ( رمزى ) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ربّما كانت بقايا الضمادات ، التى ضمّدت بها جرح ( نور ) .

هزَّ الدكتور ( حجازى ) رأسه نفيًا فى قوّة ، قبل أن يقول فى إصرار :

ــ إننى لا أستخدم هذا النوع مطلقًا .



هتف ( رمزى ) فى قلق :

ــ ماذا يعنى وجودها هنا إذن ؟

زوى الدكتور ( حجازى ) ما بين حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ مَنْ يدرى يا ولدى ؟.. ربَّما ..

وصمت لحظة ، وكأنُه يحاول التيقُّن من كلماته قبل أن ينطق بها ، إلّا أنه حينما عاد يتحدَّث كان صوته مليئًا بالثّقة والقوَّة ، وهو يقول :

ــ على الرغم من غرابة ما سأقول ، ومن عدم اتفاقه مع كل الأدلّة والبراهين ، والنتائج العلمية ، إلّا أننى أؤكّد أن شخصًا ما قد هاجم ( نور ) هنا بالفعل .

هتف ( رمزى ) فى دهشة :

ــ ماذا تقول يا دكتور ( حجازى ) ؟.. وماذا عن فحص البصمات وتحليل الدم ؟.. إن ما حدث لـ ( نور ) مجرَّد نوبة انفصام شخصية و ..

قاطعه الدكتور ( حجازى ) فى صوت قوىّ :

ــ انفصام الشخصيَّة لا يأتى بضمادات كهذه يا ( رمزى ) ، واضح من تكوينها أنها كانت تخفى وجه شخص ما ، لسبب ما .

وامتلأ صوته بالقوّة والصّرامة والعِناد ، وهو يستطرد :

ـ إن ( نور ) برىء يا ( رمزى ) .. إنه ضحيّة خُدْعة حقيرة ، أوقعت به فى فخّ محكم ، أطبق عليه فكّاه بلا رحمة ، ولكننى لن أتخلّى عنه ، فلو بقيت فى حياتى خطوة واحدة ، فسأخطوها للدفاع عنه ، وإثبات براءته ، مهما كان الثمن .

* * *

استسلم ( نور ) تمامًا ، وهو يجلس إلى جوار الرائد ( فهمى ) ، داخل سيارة صاروخية مصفّحة ، تابعة للمخابرات العلمية المصرية ، يحيط بها أربع سيارات أخرى ، لمنع أية محاولة منه للفرار ..

ولم يكن هو يفكّر فى الفرار مطلقًا ..

كان شاردًا ، واجمًا ، خائرًا ، عاجزًا حتى عن التفكير فيما يحدث ، وفيما أصابه ..

لقد فقد الثقة حتى فى تفكيره وأفعاله ..

لم يَعُد يدرى ما فعل ، وماذا لم يفعل ..

اختلطت فى رأسه الأمور ، وتداخلت ، وتضاربت ، حتى بات يشك فى أنه هو نفسه الرائد ( نور الدين محمود ) ..

وتركّزت أفكاره ومخاوفه كلها عند نقطة واحدة ..



زوجته ( سلوى ) ، وابنته ( نشوى ) ..

إن إدانته بتهمة الخيانة تعنى إعدامه ، ووصْمَهُ بالعار .. بل وصم ابنته وزوجته بعار لا ذنب لهما فيه ..

عار سيَعْلَق باسمه أبد الدَّهر ، بعد تاريخه الحافل بالانتصارات والبطولات ، والقتال من أجل وطنه ..

يا لها من نهاية لبطل !!

يا له من ختام لحياة أقرب إلى الأسطورة !!

وفى غمرة حيرته وضياعه وتوتُّره ، عاد ذلك الخاطر يلحّ على ذهنه بلا رحمة ، وعادت تلك الفكرة تنهش خلايا مُخّه بلا هَوادَة ..

فكرة أنه ضحيّة خُدعة مُحْكَمة ..

ضحية فخّ بارع ، تمّ إعداده بوسيلة شيطانيَّة ، ليُطبِق عليه بلا فكاك ..

وانتزعه من أفكاره صوت الرائد ( فهمى ) ، وهو يقول :

ـ استعدّ يا ( نور ) .. لقد وصلنا .

انتفض جسد ( نور ) فى قوّة ، وأدار عينيه ليتطلّع إلى مبنى

إدارة المخابراتْ العلمية المصرية ، وخفق قلبه فى شدَّة ، وهو يخطو إلى حيث تبدأ نهايته ..

وأطبق الفخ فَكَّيْهِ ..



* * *

نهـاية الجـزء الأوَّل

ويليه الجـزء الثـانى والأخير
[ العَدُوّ الخفِىّ ]

رقم الإيداع ٣٢١٥

روايات مصرية للجيب



# ملف المستقبل

سري جدا!!

٥٢

# العـــدو الخفى



ملف المستقبل • العدو الخفى • ٥٢ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة

## ملف المستقبل
### سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

## العـــدو الخفى

- ما سر ذلك البَدِيل الشيطانىّ الذى أوقع بـ (نور) فى هذا الفخ الجَهنمى ؟
- كيف يمكن أن يتحوَّل الصراع إلى (نور) ضدّ (نور) ؟
- تُرَى لمن يكون النصر فى النهاية ؟.. لـ (نور) وفريقه ، أم لـ (العدو الخفى) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ واشترك مع (نور) فى حلِّ اللُّغز .

٥٢



الثمن فى مصـــر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربيـــة والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : أمطار الموت



نور الدين



سلوى



رمزى



محمود

# ١ ـــ التحقيق ..

ساد الصمت والسكون تمامًا ، فى ردهات مبنى إدارة المخابرات العلمية المصرية ، فى ذلك الصباح الدافئ ، من ربيع عام ألفين وثمانية ، وبدت ممرّات المبنى خالية ، إلّا من أجهزة الفحص الأمنى والمراقبة ، وشمل السكون الطوابق الأربعة ، التى تختفى تحت مستوى الأرض ، حتى بدا وكأن إدارة المخابرات العلمية قد خلت من العاملين بها ..

أما فى حجرات المبنى ، فقد كان الأمر يختلف ..

كان هناك نشاط عجيب مثير للدهشة والإعجاب ، تموج به الحجرات والقاعات ، تحول الجدران العازلة للصوت بينه وبين التسلّل إلى الممرّات والردهات ..

وفى الطابق الذى يطلقون عليه اسم ( الرابع سلبى ) ، والذى يقع على عمق ستة عشر مترًا فى باطن الأرض ، جلس حارس أمن المبنى ( عادل ) ، فوق مقعد غير تقليدىّ ، معدّ بحيث يحتوى الجالس فوق تمامًا ، وهو مزوّد بأجهزة فائقة الدقة والحساسية ، تسجّل وتنقل كل انفعالات الجالس ، وكل التغيرات ـــ مهما بلغت ضآلتها ـــ فى نبضه ، وضغط دمه ، ومعدّل إفراز العرق من جسده ، وحتى ارتجافات سطح جلده الخارجى ..

كان باختصار أحدث جهاز لكشف الكذب ..

وكانت الحجرة هى حجرة التحقيقات فى إدارة المخابرات العلمية ..

وكان ( عادل ) يجلس على المقعد صامتًا ، مترقبًا ، وهو يعلم أن عدسة خاصّة تنقل صورة وجهه ، مكبّرة عشرات المرّات ، إلى الحجرة الجانبية ، حيث يجلس طاقم التحقيقات ، ليلقى عليه أسئلته ، ويراقب انفعالات وجهه فى اهتمام وإمعان ..

وفجأة انبعث صوت قوىّ عميق ، عَبْرَ العشرات من أجهزة نقل الأصوات ، فى جميع أنحاء الحجرة ، يقول فى صرامة :

ـ اسمك ومهنتك ؟

ازدرد ( عادل ) لعابه ، وأجاب فى هدوء :

ـ ( عادل عبد المجيد ) ، أحمل رتبة رقيب أوّل ، وكنت أعمل كرجل أمن للمبنى ، حتى أمس الأوّل .

ـ ماذا تعرف عن حادث سرقة أسطوانات الكمبيوتر السرّيّة ؟

ـ كنت قد تسلّمت نوبة حراسة ، أمس الأوّل ، عندما



وصل إلى المبنى الرائد ( نور الدين محمود ) ، فقمت بالتأكّد من شخصيته ، بواسطة أجهزة الفحص الأمنى الإليكترونية ، ولمّا جاءت نتيجة الفحص إيجابية ، سمحت له بالدخول ، وبعد ساعة تقريبًا غادر المبنى ، وبينما كنت أودّعه ، لمحت واحدة من تلك الأسطوانات السرّيّة تبرز من جيب سترته ، فأردت تنبيهه إلى أن خروج تلك الأسطوانات من المبنى ممنوع تمامًا ، إلّا أنه هدّدنى بمسدّسه الليزرىّ ، فما كان منى إلّا أن حاولت الدفاع عن نفسى ، فأصابنى بطلقة ليزر فى كتفى ، ولاذ بالفرار فى سيّارة صاروخية ، كانت تنتظره على مقربة من المبنى(*) .

ـ منذ متى وأنت تعمل فى حراسة المبنى ؟

ـ منذ خمس سنوات تقريبًا .

ـ هل سبق أن أخطأت أجهزة الفحص الأمنى ؟

ـ لا ..

ـ هذا يكفى .

غادر ( عادل ) مقعد كشف الكذب ، وأسرع الخطا مغادرًا الحجرة ، وهو يشعر بالارتياح ؛ لأن استجوابه قد

(*) لمزيد من التفاصيل راجع الجزء الأوّل ( الخلية القاتلة ) .. المغامرة رقم ( ٥١ ) .

انتهى ، فعلى الرغم من أنه لم يكن هناك ما يدينه فى الأمر ، إلّا أن مجرّد وجوده فى حجرة التحقيقات كان يورثه العصبية والقلق ..

ولم يكد ( عادل ) يغلق باب الحجرة خلفه ، حتى دخلت إليها ( سلوى ) من باب جانبى ، واستقرّت بدورها فوق المقعد ، حيث ارتفع صوت المحقّق ، وهو يقول :

ــ اسمك ومهنتك ؟

ــ ( سلوى ) .. مهندسة ، وخبيرة فى الاتصالات والتتبّع ، وعضوة فى فريق المخابرات العلمية ، الذى يرأسه زوجى ( نور ) ، المتهم ( ظلمًا ) بالخيانة .

ــ ماذا تعلمين عن حادث سرقة الأسطوانات السرّيّة ؟

ــ لست أعلم إلّا ما ذكرتموه .

ــ هل غادر زوجك ( نور ) المنزل وحدَه ، فى الموعد الذى ارتكبت فيه حادثة السرقة ؟

ــ نعم .. ولكنه لم ...

ــ أين ذهب حينذاك ؟

ــ إلى مكتب البريد الآلى ..

ــ هل يمكنك إثبات ذلك ؟



ــ لا بالطبع .. لقد ذهب وحدَه .. ولكن ..

ــ هل تعلمين أين ولماذا اختفى والد ( نور ) ، على الرغم من ضرورة حضوره للإدلاء بشهادته ؟

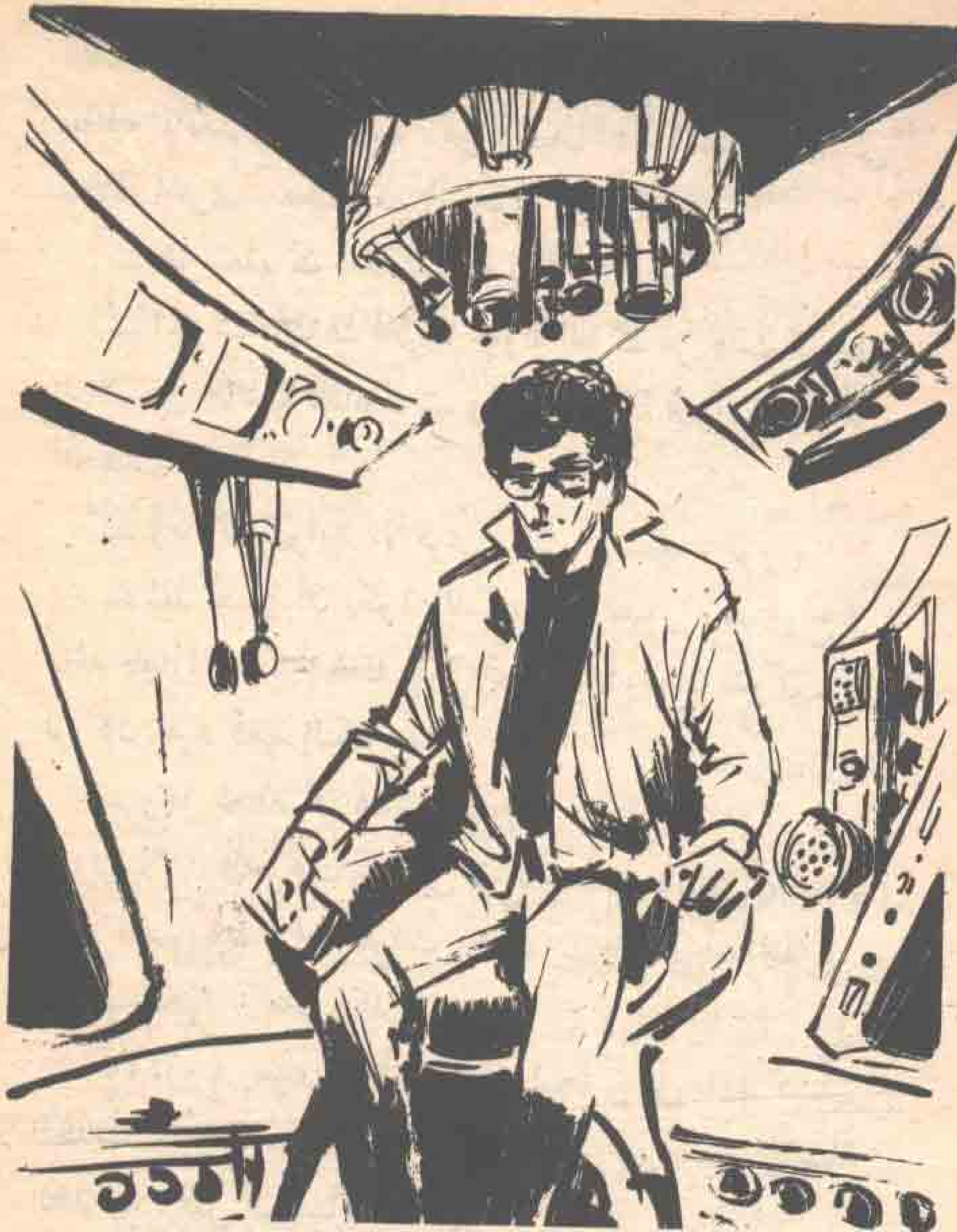
ــ لا ، ولكننى أظن أنه قد ذهب إلى مستشفى ( أسيوط ) العام .

ــ لماذا ؟

ــ قبل حادث سرقة الأسطوانات السرّيّة بأسبوعين ، وفى أثناء عودتى مع زوجى ( نور ) من عرض مسرحى فى معبد ( الكرنك ) ، اعترضت طريق سيارتنا الصاروخية فجأة فتاة مجهولة ، وعندما حاول ( نور ) تفاديها ، وقع لسيارتنا حادث ، كاد ( نور ) يلقى مصرعه بسببه ، لولا أن أنقذه جرّاح وعالم مصرى ، يعمل فى مستشفى ( أسيوط ) العام ، ويدعى الدكتور ( منصور ) ، أجرى لزوجى جراحة ميكروسكوبية عاجلة فى مستشفى ( أسيوط ) .

ــ وما علاقة ذلك باختفاء والد ( نور ) ؟

ــ إن والد ( نور ) يمتلك نفس موهبة ابنه فى الاستنتاج والفراسة ، أو أن ( نور ) قد ورث موهبته عن ابيه .. المهم أن والد ( نور ) قد استنتج أن الحادث كان محاولة متعمّدة



واتخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقَّق من اسمه ومهنته

للقتل ، نظرًا لوصول الدكتور ( منصور ) بعد لحظات من الحادث ، واختفاء الفتاة ، ولقد قام بعملية بحث بارعة ، أثبت خلالها أن الفتاة لم تكن سوى صورة هولوجرافية مجسّمة ، تمَّ بثُّها عبْر خلية ليزريّة خاصّة ، وأعتقد أنه قد شكّ فى أن تكون للدكتور ( منصور ) علاقة بما حدث بعد ذلك ، من اتهام ( نور ) بالخيانة ، فذهب إليه ، وهناك اختفى .

ــ هل يوجد دليل على ذلك ؟

ــ لا ..

ــ شكرًا .. هذا يكفِى .

غادرت ( سلوى ) الحجرة ، حيث ولجها ( محمود ) ، واتخذ مكانه فوق مقعد كشف الكذب ، حيث ارتفع صوت المحقق يسأله ، بعد أن تحقّق من اسمه ومهنته :

ــ أتظن أن الرائد ( نور ) قد ارتكب حادثة السرقة أم لا ؟

ــ بالطبع لا ، فلقد عملت تحت قيادة ( نور ) طوال خمس سنوات ، وأستطيع أن أجزم بأنه أكثر من عرفت حبًّا لوطنه ، وإخلاصًا له ، ورجل مثل هذا لا يخون أبدًا .

ــ مَا تفسيرك لما حدث إذن ؟

ــ لقد وضع ( نور ) بعض الاحتمالات ، وهو يحاول تفسير

ذلك .. منها مثلاً أن شخصًا ما ينتحل شخصيته ، وأنه قد أبدل بطاقته الإلكترونية الخاصة ، من أرشيف أجهزة الفحص الأمنى ببطاقة أخرى ، مكّنته من الدخول إلى الإدارة .

— هل تعلم أن ذلك مستحيل ؟

— أعترف بأننا قد أجرينا محاولة للتأكد من ذلك — على الرغم من مخالفتها للقانون — ولكن المحاولة قد أسفرت عن أن ذلك لم يحدث .

— وما التفسيرات الأخرى ، التى وضعها ( نور ) ؟

— لقد تصوَّر أن يكون الدكتور ( منصور ) قد زرع فى مخّه جهازًا خاصًا ، يجعله يفعل أى شىء دون أن يدرى ، كما لو كان مجرَّد دُمْية إليكترونية .

— وهل تعتقد أن هذا صحيح ؟

— لا .. فلقد قمنا بفحص مخه بأشعة ( رونتجن ) ، بعد تكبير الصورة عشرات المرَّات ، دون أن نعثر على أية أجهزة .

— شكرًا .. هذا يكفى .

جاء دَور ( رمزى ) هذه المرة ، ليجلس على مقعد كشف الكذب ، ويدلى باسمه ومهنته ، ويجيب عن بعض الأسئلة التقليدية ، قبل أن يسأله المحقق :



— هل يمكن أن يرتكب الرائد ( نور ) حادث السرقة ، دون أن يدرى أنه قد فعل ذلك ؟ ؟

— كخبير فى الطب النفسىّ أجيب بنعم .

— ولماذا كخبير فى الطبّ النفسىّ ؟

— لأن تحليلى لحالة ( نور ) هو أنه مصاب بانفصام الشخصية ، إثر ذلك الحادث الذى تعرَّض له منذ أكثر من أسبوعين ، مما حوَّله إلى شخصيتين متناقضتين فى جسد واحد ، إحداهما هى ( نور ) الذى نعرفه ، والأخرى على نقيضها تمامًا .

— هل لديك ما يثبت ذلك ؟

— تاريخ ( نور ) الحافل بالبطولات .

— فقط ؟

— هناك واقعة أخرى .. فقد تصوَّر ( نور ) أن شخصًا ما قد هاجمه فى معمل الدكتور ( حجازى ) ، حيث كان يختبئ ، وأن ذلك الشخص قد طعنه بِمُدْيَة ، ثم ألقاها داخل المعمل ، بعد أن جرح نفسه أيضًا ، وطلب منا ( نور ) رفع البصمات عن المُدْيَة ، وتحليل دماء ذلك الشخص ، حتى يثبت براءته من الإصابة بانفصام الشخصية ، ولكنه قال فى الوقت ذاته إنَّ ذلك الشخص كان نسخة طبق الأصل منه هو .

— وكيف جاءت نتيجة رفع البصمات ، وتحليل الدم ؟

صمت ( رمزى ) إزاء هذا السؤال ، ونقل مقعد كشف الكذب توتره وتردُّده ، فعاد المحقِّق يسأله فى صرامة :

— كيف جاءت النتيجة ؟

زفر ( رمزى ) فى ضيق ، قبل أن يقول :

— لقد كانت البصمات لـ ( نور ) ، والدماء دماؤه .

ثم أسرع يستدرك :

— ولكنَّ للدكتور ( حجازى ) رأيًا آخر .

جاء صوت المحقِّق صارمًا ، وهو يقول :

— وما تفسير ذلك فى رأيك ؟

— لقد كنت أعتقد أن حالة انفصام الشخصية ، التى يعانيها ( نور ) قد جعلته يتصوَّر وجود عدوّ خفى ، يقاتله بوجهه هو ، ولكن الدكتور ( حجازى ) ..

قاطعه المحقِّق فى صوت بارد كالثلج ، صارم كالفولاذ :

— شكرًا .. هذا يكفى .

عقد ( رمزى ) حاجبيه فى ضيق ، إلّا أنه غادر مقعده ، واتجه إلى خارج الحجرة ، دون أن يضيف حرفًا



واحدًا ، ودخل الدكتور ( حجازى ) ، من الباب الجانبى الآخر ، معقود الحاجبين ، واضح الصرامة والعناد ، واتخذ مجلسه فوق المقعد فى حركة حادَّة ، ولم يكد صوت المحقِّق ينبعث ، ليسأله عن اسمه ومهنته ، حتى قال فى خشونة :

— الدكتور ( محمد حجازى محمد ) .. كبير الأطباء الشرعيين فى جمهورية مصر العربية ، ولست أرغب فى الإجابة عن أسئلتكم اليوم .

— هل تعلم أنك متَّهم بإخفاء ضابط خائن و .. ؟

— ألق القبض علىَّ ، أو دعنى أعُدْ لمواصلة عملى .

— البيانات الرسمية تقول إن جدول أعمالك خال اليوم .

— إنها أعمال خاصّة .

— وهل تمنعك تلك الأعمال الخاصّة من الإجابة عن الأسئلة ؟

— نعم ..

— لماذا ؟

— لأننى أعمل لإثبات براءة ( نور ) .

— هل تؤمن بذلك حقًّا ؟

— تمام الإيمان .

ثم غادر المقعد بحركة حادَّة ، واتجه نحو باب الحجرة ، وهو يقول فى حَنَق :

ــ وسأطالبكم جميعًا بالاعتذار لـ ( نور ) ، على شاشات صحف الڤيديو ، حينما أثبت أنه برىء .. هل تسمعون ؟ .. إن ( نور ) برئ .

وأغلق الباب خلفه فى قوَّة ..

★ ★ ★





## ٢ ــ البحث عن أوَّل الخيط ..

« لم ينطق أحدهم بغير الصِّدق يا سيِّدى » .

نقل جهاز التليڤيديو ، إلى مكتب القائد العام للمخابرات العلمية المصرية ، صورة وصوت المحقِّق ، وهو ينطق هذه العبارة ، فعقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول :

ــ ولكن أقوالهم تدين ( نور ) ، حتى ولو كان مصابًا بانفصام الشخصية .

أجاب المحقِّق فى هدوء :

ــ لو نجح الطبيب النفسى ( رمزى ) فى إثبات ذلك ، فسيخفف هذا من عقوبة الرائد ( نور ) ولاشك ياسيِّدى .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ بالنسبة لشابّ مثل ( نور ) فأية عقوبة تعنى الفناء يا بُنَىّ .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى اهتمام بالغ :

ــ وماذا عن الدكتور ( محمد حجازى ) ؟ .. لماذا رفض الإدلاء بأقواله ؟

هزَّ المحقق رأسه ، وقال :

— لا أحد يدرى يا سيّدى ، ولكنه متهم بإخفاء هارب من العدالة ، وسنراقب منزله ومعمله الخاص ، و ..

قاطعه القائد الأعلى :

— لا .. لا تفعل بالله عليك .

ارتسمت الدهشة على وجه المحقّق ، فى حين استطرد القائد الأعلى فى حزن :

— لقد قررّت أجهزة الفحص أن الدكتور ( حجازى ) كان غاضبًا ، ولكنه لم يكن مضطربًا أو خائفًا ، وهذا يعنى أنه — مادام قد رفض الإدلاء بأقواله — فهو يملك ما قد يمكّنه من إثبات براءة ( نور ) ، ولا ينبغى أن نعوقه عن ذلك .

هتف المحقق فى استنكار :

— براءة الرائد ( نور ) ؟! .. مستحيل يا سيّدى ! كل الأدلة والبراهين تؤكّد أنّه ..

قاطعه القائد الأعلى فى صرامة :

— الأمر لم ينته بعد أيها المحقق .. ولو أن الأمور قد اتخذت نفس المنهج ، الذى تتخذه فى كل عملية تخص الرائد ( نور الدين ) ، فثق أن النهاية ستحمل لنا مفاجأة .



واكتسب صوته ثقة شديدة ، وهو يُردِف فى حزم :

— مفاجأة مُذْهِلة ..

* * *

اجتمع أفراد فريق ( نور ) ، بلا قائدهم ، فى معمل الدكتور ( حجازى ) الخاصّ ، يراقبونه وهو ينهمك فى إجراء بعض الفحوص والتحاليل فى اهتمام بالغ ، قبل أن تسأله ( سلوى ) فى توتُّر :

— عمّ تبحث بالضبط يا دكتور ( حجازى ) ؟

أجابها الدكتور ( حجازى ) ، وهو يواصل فحوصه :

— بعد أن اصطحب رجال المخابرات العلمية ( نور ) من هنا ، عثرنا — أنا و ( رمزى ) — على كُومَة من الضمّادات ، فى ركن من المعمل ، توحى بأنها كانت تخفى وجه شخص ما يا ( سلوى ) ، ولمّا لم يكن ( نور ) يحمل هذه الضمّادات ، حينما أتى إلى هنا ، ولمّا كنت واثقًا من أنها لا تنتمى إلى معمل بأىّ حال من الأحوال ، فقد وجدت نفسى أميل إلى تصديق قصة ( نور ) ، عن ذلك الشخص الذى يشبهه تمامًا ، والذى هاجمه هنا ، وهذا يعنى أن ذلك العدوّ الخفىّ ، قد نجح بوسيلة

ما فى خداعنا جميعًا ، وإقناعنا بأن ( نور ) يعانى انفصامًا فى شخصيته ، حتى نكون وسيلة من وسائله ؛ لإثبات إدانة ( نور ) بتهمة الخيانة .

هتفت ( سلوى ) فى أمل :

ـــ وهل تفحص الأربطة ؟

رفع عينيه عن مجهر الفحص ، والتفت إليها قائلاً فى هدوء :

ـــ بل أفحص الأتربة التى تحيط بمسكنى يا بنيَّتى .

ارتسمت الدهشة فى عينيها ، على حين أسرع ( محمود ) يسأله :

ـــ وبم يفيد ذلك يا سيِّدى ؟

عقد الدكتور ( حجازى ) حاجبيه ، وهو يقول :

ـــ لو تعمَّقت فى دراسة الأمر ، مثلما أفعل أنا منذ أكثر من ثلاثين عامًا ، لعلمت أن الأتربة تختلف من مكان إلى مكان آخر يا ولدى ، فهى تتأثَّر بالبيئة المحيطة بها ، وهذا يعنى أن الأتربة فى المناطق السياحية ، تختلف عنها فى المناطق الجبليّة ، وأيضًا عنها فى المدن ، أو المناطق الزراعيّة ، ولمَّا كان كل من



ولج معملى ، ومسكنى فى الأيام الأخيرة من سكَّان المدن ، فمن الضرورة أن تنتمى كل الأتربة لنوع أتربة المدن ، أمّا لو ..

قاطعه ( رمزى ) فى توتُّر :

ـــ لا ريب أنك لا تدرك خطورة ما تفعله يا سيِّدى ، فالأمل الوحيد فى نجاة ( نور ) من حكم الإعدام بتهمة الخيانة ، هو إثبات أنه مصاب بانفصام شخصية كامل ، أمّا لو أثبتنا العكس ، فسيعنى هذا اعدامه .

أجابه الدكتور ( حجازى ) فى صرامة :

ـــ إننى لا أسعى خلف هذا أو ذاك يا ( رمزى ) .. إن هدفى الوحيد هو تبرئة ( نور ) .. تبرئته تمامًا ..

★ ★ ★

حدَّق والد ( نور ) طويلاً فى وجه ذلك الشابّ ، الذى هو نسخة طبق الأصل من ولده ( نور ) ، والذى جلس على مقربة منه ، يبتسم فى ثقة وغرور ، ثم نقل بصره إلى الطبيب الشاب ، مساعد الدكتور ( منصور ) ، واختنقت الكلمات وتلعثمت فى حلقه ، قبل أن يهتف فى مزيج من الذهول والاستنكار :

ــ ولكنّ ما تقوله مستحيل !! إن عقلى يرفض تصديقه !
ابتسم مساعد الدكتور ( منصور ) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ كل المنجزات العلمية بدت مستحيلة ، وخارقة للمألوف ، حينما ظهرت للمرة الأولى أيها الرجل ، ولا تنس أن الاستكار نفسه قد واجه هندسة الوراثة ، حينما برزت تجاربهم الأولى إلى الوجود ، ثم إن ما أخبرتك عنه ليس كشفًا علميًّا حديثًا .. إن العلماء يجرون تجاربهم عليه منذَ عام ألف وتسعمائة وثمانين ، ولكن الدكتور ( منصور ) وحده نجح فى تحقيقه ، على النحو الذى يحلم به العلماء منذ ثمانية وعشرين عامًا .

عاد والد ( نور ) يدير عينيه إلى شبيه ابنه ، ويحدّق فى وجهه فى ذهول ، قبل أن يغمغم وقد بلغت حَيْرته ذِرْوتها :
ــ مستحيل !! مستحيل !!
أطلق شبيه ( نور ) ضحكة ساخرة ، قبل أن يميل نحو والد هذا الأخير ، قائلاً فى تحدّ :
ــ هذا ما سيردّده الجميع أيُها الوالد العزيز ، وأنا واثق أن هذا ما ردّدوه ، حينما رفعوا البصمات عن مقبض المُدْية ، وحللّوا قطرات الدم ، فوجدوا أنها كلها لـ ( نور ) .



جاوبه مساعد الدكتور ( منصور ) بضحكة أخرى ساخرة ، وهو يقول :
ــ ومن الطريف أن هذه هى الحقيقة بالفعل .
صاح والد ( نور ) فى غضب وسخط :
ــ أيها المجرمون .. إن يد العدالة ستنالكم حتمًا .
اتسعت ابتسامة شبيه ( نور ) الساخرة ، وهو يقول :
ــ كَفَى مكابرة أيها الوالد العزيز .. أنت تعلم مثلنا ، بعد ما سمعته ، أن النهاية ستكون من نصيب ولدك الحبيب .. صدّقنى .. لقد انتهى عهد الرائد ( نور ) ، وبدأ عهدى أنا .

* * *

زفر الدكتور ( حجازى ) زفرة ارتياح قويّة ، خفقت لها قلوب أفراد الفريق ، وهتفت به ( سلوى ) فى انفعال شديد :
ــ هل عثرت على ما تبحث عنه يا سيّدى ؟
ضرب بقبضته سطح مائدة الفحص ، وهو يقول فى حزم :
ــ نعم يا بنيتى .. لقد زايلنى كلُ شك فى براءة ( نور ) .
وقبل أن يسأله أحدهم عن مبعث ثقته الشديدة ، أسرع يستطرد فى حماس :

ـ لقد عثرت فى معملى ، وحول منزلى ، على أتربة تعود الى منطقة جبلية .. أتربة حديثة .. ولمّا كان نور قد غادر مستشفى ( أسيوط ) منذ أسبوع كامل ، فهذا يعنى أن شخصًا ما ، يقيم فى منطقة جبلية ، قد تسلّل إلى معملى ، وهاجم ( نور ) بالفعل ..

شحب وجه ( رمزى ) ، وهو يهتف :

ـ يا إلهى !! .. هذا يعنى ..

قاطعه الدكتور ( حجازى ) فى صرامة :

ـ نعم يا ( رمزى ) .. هذا يعنى أن ( نور ) برىء من تهمة الخيانة ، براءة الذئب من دم ابن ( يعقوب ) .

هتفت ( سلوى ) ، وقد أورثها الانفعال ارتباكًا شديدًا :

ـ ولكن .. ولكن كيف ؟ .. أجهزة الفحص ، وتحليل الدم .. والبصمات و ..

قاطعها الدكتور ( حجازى ) فى حزم :

ـ مهمتنا أن نثبت خطأ كل هذا يا ( سلوى ) .

وعقد حاجبيه ، وهو يستطرد فى صرامة وقوّة :

ـ ولن يتخلى الفريق عن قائده أبدًا .. أبدًا .

* * *



## ٣ ـ وبرقت عيناه ..

جلس الرائد ( نور ) فى ركن زنزانته الخاصة ، فى الطابق الأوّل من إدارة المخابرات العلمية صامتًا ، يفكّر للمرّة الألف فيما أصابه ، ويحاول للمرّة الألف العثور على تفسير منطقى لكل ذلك ..

كانت كل الأدلّة والبراهين تؤكّد نظرية ( رمزى ) ، التى تدور حول إصابته بانفصام شخصية كامل ، ولقد مال هو نفسه لتصديق هذه النظريّة ، والإيمان بها ، لولا أن جزءًا ما من عقله كان يرفض هذا التفسير فى شدّة ، على الرغم من قوّته وتأكيده ..

كان هذا الجزء من عقله الذى يعانده ويقاومه دوْمًا ، كلّما واجهه لغز غامض ، ولم يكن هذا الجزء ليهدأ أو يستقر ، إلّا حينما يعثر على التفسير الصحيح ، الذى يربط كل الأحداث بخيط واحد ، وإصراره على الأرق والعمل لا يعنى لـ ( نور ) إلّا أمرًا واحدًا ..

أن اللغز لم يحلّ بَعْدُ ..

وتطلّع ( نور ) إلى أنحاء زنزانته فى شرود ، وعقله مازال يفكّر ويفكّر ..

كانت زنزانته من نوع خاص ، مزوَّدة بثلاث كاميرات هولوجرافيَّة ، تتيح لقسم المراقبة متابعة كل سكناته وحركاته طوال الوقت ، إلّا حينما تزوره زوجته ، فالقانون يكفل له حرّية الحديث معها فى أمور شخصية ، ويمنع مراقبة حديثهما ..

أمّا قضبان الزنزانة ، فلم تكن من الصلب أو الفولاذ ، وإنما كانت عبارة عن خيوط شبكية متقاطعة من أشعة الليزر القاتلة ، يستحيل اختراقها ، دون أن تمزّق من يحاول ذلك إربًا ..

كانت زنزانته حديثة ، من ذلك النوع الذى يستحيل الفرار منه تمامًا ..

قطع شروده وتفكيره صوت الحارس الخاصّ لزنزانته ، وهو يقول فى صرامة :

ـ لقد أتت زوجتك لزيارتك .

رفع عينيه فى لهفة ، ليتطلّع إلى وجه زوجته ( سلوى ) ، التى منحته بدورها نظرة تمتلئ باللهفة والحب ، قبل أن يقول لها الحارس فى صرامة :

ـ لديك ربع ساعة كاملة يا سيدتى .. سأغادر المكان طوال الزيارة ، ولكن حذارِ .. فالقانون يقضى بإيقاف المراقبة طيلة الزيارة ، ولكننا نقوم بتفتيش المكان فى دِقّة بعدها .



أجابته فى برود :

ـ أعلم ذلك .. ولتعلم أنك تضيع بعض الدقائق الثمينة من زيارتى لزوجى .

عقد الحارس حاجبيه فى ضيق ، إلّا أنه ضغط زرًّا صغيرًا ، مجاورًا للزنزانة ، فتوقّفت على الفور خيوط الليزر ، وخطت ( سلوى ) داخل الزنزانة ، وعادت خيوط الليزر تغلقها من جديد ، ووقفت ( سلوى ) صامتة ساكنة ، حتى ابتعد الحارس ، ثم ألقت بجسدها بين ذراعى زوجها ، وهى تهتف فى لوعة :

ـ كيف حالك يا ( نور ) ؟ .. كيف حالك يا زوجى الحبيب ؟

ضمّها ( نور ) إلى صدره فى حنان ، ومسح على شعرها فى رفق ، وهو يغمغم :

ـ إننى أشعر بأننى فى خير حال ، حينما أراك يا عزيزتى .

رفعت وجهها إليه ، وهى تهتف فى لهفة :

ـ ( نور ) .. إننى أحمل لك أخبارًا طيبة .

ابتسم فى حزن ، وهو يسألها :

ـ هل صدر قرار بالإفراج عنى ؟

هتفت :

ـ لا يا ( نور ) ، ولكن الدكتور ( حجازى ) قد أثبت ، بما لا يدع مجالاً للشك ، أن شخصًا ما قد هاجمك بالفعل فى معمله .

اتسعت عينا ( نور ) فى دهشة وانفعال ، وأمسك كتفى زوجته فى قوّة ، وهو يهتف :

ـ يا إلٰهى !! .. إذن فأنا لست ..

قاطعه فى سعادة ولهفة :

ـ نعم يا ( نور ) إنك لست مصابًا بانفصام الشخصية ..

إزداد اتساع عينى ( نور ) ، وهو يحدّق فى وجهها ، ثم تخلّى عن كتفها ، وعقد حاجبيه فى شدة ، وهو يغمغم وكأنه يحدّث نفسه :

ـ ولكن تحليل الدم وفحص البصمات وبطاقتى الإليكترونية و ..

بتر عبارته ، ولاحت فى ملامحه علامات التفكير العميق ، وران الصمت تمامًا على جوّ الزنزانة ، واحترمت ( سلوى ) صمت ( نور ) ، فلاذت بالصمت بدوْرها ، وإن لم يمنعها هذا من التطلّع إليه فى لهفة وأمل ، حتى رفع عينيه إليها ، يسألها فى اهتمام شديد ، وقد استعاد صوته قوّته وصلابته :



ـ هل أخبرك والدى بكل التفاصيل ، التى حدثت فى مكتب الدكتور ( منصور ) ، حينما ذهب ليسأله عن الحادث ؟

أرادت ( سلوى ) أن تخبره باختفاء والده ، إلّا أنها رأت أن الوقت والظروف لا يناسبان ذلك ، فأجابت فى اقتضاب :

ـ نعم يا ( نور ) .

تألّقت اللهفة فى عينيه ، وهو يقول :

ـ حسنًا .. أريد منك أن تخبرينى بكل التفاصيل يا ( سلوى ) .. كلها .. حتى ما بدا منها تافهًا لا يستحق الذكر .. كلها يا ( سلوى ) .

ارتسمت الدهشة فى عينيها ووجهها ، إلّا أنها أجابته فى اهتمام :

ـ حسنًا يا ( نور ) .. سأخبرك .. سأخبرك بكل التفاصيل .

★ ★ ★

بدا صوت ( محمود ) مفعمًا بالانفعال واللهفة والقلق ، وهو يسأل الدكتور ( حجازى ) :

ـ هل تظن أن ( نور ) سيتوصّل إلى شىء ما ، حينما تخبره ( سلوى ) بما توصّلت إليه يادكتور ( حجازى ) ؟

قلّب الدكتور ( حجازى ) كفيه ، وهو يقول فى خفوت :

ــ لست أدرى يا ولدى ، ولكنَّ هذا سيُزيل من نفسه كل التوتُّر والإحباط ، اللذين يشعر بهما ، وسيدفعان عقله للعمل فى صورة هادئة ، وأنت تعلم مدى عبقريَّة ( نور ) فى مثل هذه الأمور .

أومأ ( محمود ) برأسه موافقًا ، وهو يغمغم :

ــ نعم .. أعلم ذلك .

ساد الصمت لحظة ، ثم التفت الدكتور ( حجازى ) إلى ( رمزى ) ، الذى انتحى ركنًا جانبيًا ، وبدا مهمومًا حزينًا ، وسأله فى اشتياق :

ــ ماذا بك يا ( رمزى ) ؟

رفع إليه ( رمزى ) عينين يطلُّ منهما حزن عميق ، وبدا صوته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

ــ هل سبق لك يومًا يا سيِّدى ، أن شعرت أن خبرتك ودراستك ، قد قادتاك إلى ارتكاب خطإٍ قاتل ؟

فهم الدكتور ( حجازى ) ما يعنيه ( رمزى ) ، فغمغم فى تعاطف :

ــ كلنا نخطئ يا ولدى .. العِصْمَةُ لله ــ عزَّ وجلَّ ــ وحده .



أطرق ( رمزى ) بوجهه ، وهو يقول فى حزن :

ــ ولكنَّ الخطأ الذى ارتكبته أنا كان بشعًا يا سيِّدى .. لقد أدنت ( نور ) ، ووصمته بالخيانة ، وأنا أتصوَّر نفسى أحاول حمايته .

ران الصمت طويلاً فى الحجرة ، قبل أن يغمغم الدكتور ( حجازى ) فى حنان ورفق :

ــ لا تقسُ على نفسك يا ولدى .. كلنا بشر ، المهم أن نعمل كلنا الآن لإثبات براءة ( نور ) .

سأله ( رمزى ) فى مرارة :

ــ هل تظن ذلك ممكنًا يا سيِّدى ؟

تنهَّد الدكتور ( حجازى ) ، قبل أن يقول فى هدوء :

ــ كل شىء ممكن يا ولدى .. كل شىء ممكن .

* * *

استمع ( نور ) إلى قصة ( سلوى ) فى اهتمام ، ثم عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ من العجيب أنكم قد أغفلتم نقطة هامَّة يا ( سلوى ) ، حينما قصصتم علىَّ القصة فى المرة الأولى !



بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل ( سلوى ) تقفز من مقعدها



سألته فى قلق وفضول :

— ما هى يا ( نور ) ؟

لوَّح بكفه ، وهو يقول :

— ذلك الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى جروين متطابقين تمامًا ، ألا تجدين تشابهًا بينهما ، وبين موقفى .

غمغمت فى مزيج من الدهشة والحَيْرة :

— تشابهًا ؟!

أجابها فى اهتمام :

— نعم يا ( سلوى ) .. أنا أيضًا أواجه عدوًا خفيًا ، يطابقنى فى كل شىء ، كما لو كان ..

بتر عبارته فجأة ، وبرقت عيناه على نحو مألوف ، جعل ( سلوى ) تقفز من مقعدها ، وهى تهتف فى انفعال بلغ ذِرْوَته :

— ( نور ) .. لقد توصَّلت إلى الحلّ ، أليس كذلك ؟ .. لقد عثرت على دليل براءتك .

وبرقت عينا ( نور ) ببريق العزم والثقة ، وهو يقول :

— بلى يا ( سلوى ) ، ولكن من المستحيل إثبات ذلك ، ما لم ..

قاطعته فى لهفة :
ـــ ما لم ماذا ؟
ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ، وهو يجيب فى هدوء :
ـــ ما لم يعاوننى الفريق كله على الفرار من هنا ..

★ ★ ★





# ٤ ـــ خطة العصر ..

« الفرار ؟! »

هتف الدكتور ( حجازى ) بهذه الكلمة ، فى لهجة تحمل من الجزع والدهشة والاستنكار قدرًا كبيرًا ، قبل أن يستطرد فى توتر :

ـــ إن الفرار من هناك أقرب إلى المستحيل ، بل هو المستحيل نفسه ! .. فحتى لو نجح فى الفرار من زنزانته الإلكترونية ، فكيف ينجح فى الفرار من إدارة المخابرات العلمية نفسها ، حيث تبلغ وسائل الأمن ذِرْوَتها .

عقدت ( سلوى ) حاجبيها ، وهى تقول فى صرامة :

ـــ علينا أن نبذل أقصى جهدنا لجعل ذلك ممكنًا يا سيِّدى .

أراد الدكتور ( حجازى ) أن يعترض مرَّة أخرى ، إلَّا أن ( رمزى ) أسرع يسأل ( سلوى ) فى اهتمام :

ـــ لم يخبرك ( نور ) بما توصَّل إليه ؟

ظهر الضيق على وجهها ، وهى تقول فى عصبية :

ـــ كلَّا .. إنك تعرف طبيعة ( نور ) .. إنه يفضِّل الاحتفاظ بما يدور فى عقله حتى النهاية .

عاد يسألها فى توتُّر :

ـــ ألم يشر إليه مطلقًا ؟

هزَّت رأسها نفيًا فى حنق ، ثم أسرعت تستدرك قائلة :

ـــ إنه كان يتحدَّث عن تجارب الدكتور ( منصور ) السِّرِّيَّة ، عندما توصَّل فجأة إلى الحل .

هتف ( محمود ) :

ـــ إذن فالدكتور ( منصور ) مسئول عمَّا حدث ، على نحو أو آخر ، وهذا يتَّفق مع اختفاء والد ( نور ) ، بعد ذهابه إليه .

ثم أردف فى سخط :

ـــ لماذا لا يجبره رجال الشرطة على الإفصاح عن طبيعة تجاربه السِّرِّيَّة ؟ .. قد يعاوننا هذا على التوصَّل إلى حلَّ اللغز ، مثلما فعل ( نور ) .

أجابه الدكتور ( حجازى ) فى ضيق :

ـــ هذا مستحيل يا ولدى ، فقانون حرِّية البحث العلمى ، الذى صدر عام ألف وتسعمائة وخمسة وتسعين ، يمنحه حقَّ الحفاظ على سرِّية تجاربه ، مادام يجريها فى معمل رسمِىّ ، ويقرُّ بأنها تسعى للصالح العام ، ولابدّ من حصولنا أوّلاً على دليل يُدين هذه التجارب ، وإلّا فلن يمكننا إجباره على الإفصاح عن طبيعتها أبدًا .



عقد ( رمزى ) حاجبيه ، وهو يقول فى ضيق :

ـــ أظن أن هذا أقل صعوبة من معاونة ( نور ) على الفرار .

غمغم الدكتور ( حجازى ) فى ضيق :

ـــ ما زلت أصرّ على أن هذا مستحيل !!

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى ( محمود ) ، وهو يقول :

ـــ لست أراه على هذه الصورة المتشائمة يا سيِّدى .

هتفت ( سلوى ) فى لهفة :

ـــ هل لديك خطة ما ؟

ابتسم وهو يقول :

ـــ بالطبع .. إننا لسنا مجرَّد فريق عادىّ .. إننا فريق علمىّ .

واتسعت ابتسامته ، وهو يردف :

ـــ وسننجح بإذن الله .

★ ★ ★

تطلَّع الحارس الخاصّ لزنزانة ( نور ) إلى وجه ( رمزى ) ، المحاط بالضِّمادات ، فى ريبة ، وهو يقول فى شكّ :

ـــ لماذا تخفى نصف وجهك خلف هذه الضِّمادات ؟

أجابه ( رمزى ) فى برود :

ـــ لقد تعرَّضت لحادث مؤسف ، ولقد تحقّق حارس أمن المبنى من شخصيّتى .

نقل الحارس بصره بين وجوه ( رمزى ) و ( محمود ) و ( سلوى ) فى شكّ واضح ، قبل أن يقول فى صراحة :

ـــ هل سيقوم ثلاثتكم بزيارته فى آن واحد ؟

أجابته ( سلوى ) فى هدوء :

ـــ سأدخل أنا إلى الزنزانة وحدى ، وسيبقى زميلاى هنا ، فلقد أرادا رؤيته فحسب ، أمّا أنا فلدىّ ما أقوله له .

ارتسمت ابتسامة خبيثة على وجه الحارس ، وقد خيِّل إليه أنه قد فهم اللعبة ، وأشار إلى الزر الذى يوقف أشعة الليزر ، قائلاً فى صرامة :

ـــ لو أنكما تتصوَّران أنه بإمكانكم إيقاف خيوط الليزر ، ومعاونته على الفرار من هنا فأنتم واهمون ، فسأوقف مفعول هذا الزّر ، قبل مغادرتى المكان ، وسأقف على باب الممر و ..

قاطعه ( رمزى ) فى برود :

ـــ هل سنستمع إلى هذه المحاضرة طويلاً ؟

عقد الحارس حاجبيه فى غضب ، ثم التفت وضغط الزّرّ ،



فتوقّفت خيوط الليزر ، وترك ( سلوى ) تدلف إلى الزنزانة ، ثم أعاد خيوط الليزر ، وانتزع بطاقة مغناطيسية صغيرة من تجويف رفيع إلى جوار الزّر ، ثم ابتسم فى خبث وسخرية ، وهو يتطلّع إلى ( رمزى ) و ( محمود ) ، قبل أن يسرع الخطا إلى نهاية الممر ، ويغلق بابه خلفه فى إحكام ، ولم يكد يفعل حتى قال ( رمزى ) :

ـــ هيَّا .. ليس أمامنا سوى ربع ساعة فقط .

أسرع ( محمود ) ينتزع ساعته الذرية الصغيرة ، التى تحيط بمعصمه ، وضغط بعض الأزرار الدقيقة فى جانبها بسرعة ، ثم وضعها أرضًا ، إلى جوار خيوط الليزر ، التى تغلق مدخل الزنزانة ، وابتعد عنها بضع خطوات ، و( نور ) يراقب الموقف فى اهتمام وترقّب ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

وفجأة انحنت خيوط الليزر كلها ، على نحو بدا أقرب إلى مشاهد الخدع السينمائية المحكمة ، واتجهت كلها نحو الساعة الصغيرة ، التى بدت وكأنها تمتص الأشعة القاتلة فى هدوء وسكون ، صانعة فجوة واسعة عبر باب الزنزانة ، فهتف ( نور ) فى إعجاب :

ـــ يا لَلرَّوْعة !! ما هذا الشىء يا عزيزى ( محمود ) ؟

ابتسم ( محمود ) وهو يقول :

ـ يمكنك أن تطلق عليه اسم ( مستقطب الليزر ) يا ( نور ) ، وهو يعتمد على كون أشعة الليزر عبارة عن فوتونات ضوئية مكثّفة و ..

قاطعه ( رمزى ) فى توتُّر :

ـ ليس الآن يا ( محمود ) .. سيتوقَّف مستقطبك الليزرىّ هذا بعد اثنتى عشرة دقيقة فحسب .

ثم عبر الفجوة ، التى صنعها انحناء خيوط الليزر ، فى سرعة ، وأخذ ينزع الضّمادات التى تحيط بوجهه ، وهو يقول :

ـ هيّا يا ( نور ) .. لقد أرسل لك الدكتور ( حجازى ) قناعًا من المطاط الصناعى ، يشبهنى تمامًا ، وعليك أن تضعه على وجهك ، ثم تحيطه بتلك الضّمادات ، وسيظن الجميع أنك أنا ، وأنت تغادر المبنى ، ومن حسن الحظ أنهم لا يفحصون من يغادر المبنى ، مثلما يفعلون مع من يدخله .

التقط ( نور ) القناع المطاطىّ ، وهو يسأله فى قلق :

ـ وماذا عنك أنت ؟

أجابه ( رمزى ) فى إصرار واضح :

ـ سأبقى فى الزنزانة بدلاً منك ، فينبغى أن يجد الحارس سجينه ، حينما تنتهى الزيارة ، وإلّا فشلت الخطة ، ولقد صنع



الدكتور ( حجازى ) قناعًا آخر يشبهك ، وهو لن يخدع الحارس بالطبع ، ما لم أرقد على فراشك ، وأولى وجهى شطر الحائط .

غمغم ( نور ) ، وهو يحيط وجهه بالضمادات ، بعد أن ثبّت فوقه ذلك القناع ، الذى يحمل وجه ( رمزى ) :

ـ هل تعرف العقوبة التى تنتظرك ، إذا ما كُشف أمرك بعد فرارى ؟

عقد ( رمزى ) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ نعم يا ( نور ) ، ولكننى أدين لك بالاعتذار ، بعد أن أخطأت فى تفسير ما حدث ، وأعتقد أن هذه وسيلة مناسبة لسداد دينى .

ثم أسرع يستطرد ، قبل أن يعترض ( نور ) :

ـ والآن هيّا ، فلم يعد باقيًا لنا إلّا خمس دقائق فقط ، ولابد من أن نستبدل ثيابنا فى سرعة .

أطلّت نظرة امتنان من عينى ( نور ) ، وأسرع يستبدل ثيابه مع ( رمزى ) ، وهو يسأله :

ـ سؤال أخير .. لماذا بقيتما أنت و ( محمود ) خارج الزنزانة ؟

ابتسم ( رمزى ) ، وهو يقول :

ـــ الطب النفسى يا صديقى .. فلقد زرعنا الشك فى قلب الحارس ، وجعلنا تفكيره كله يتجه إلى زِرّ إبطال خيوط الليزر ، وسيكون هذا أوّل ما يتطلّع إليه حينما يعود ، بعد انتهاء الزيارة ، ولن يخطر بباله مطلقًا أنك أنت الذى تقف إلى جوار ( محمود ) فى الخارج ، وأنا الذى أقف مع ( سلوى ) فى الداخل .. إنه ما يسمى بالتشتيت الذهنى يا صديقى .

ضحك ( نور ) ، وهو يقول :

ـــ ياإلهى !! .. يبدو أننا فريق رائع يا رفاق ، ومن حسن الحظ أننا نعمل إلى جانب العدالة ، وليس ضدها .

ابتسم ( رمزى ) وهو يقول :

ـــ موقفنا هذا يجعلنى أتصوَّر العكس يا ( نور ) .

صاح ( محمود ) فى قلق :

ـــ هيَّا يا ( نور ) .. لم تعد أمامنا سوى دقيقة واحدة .

أسرع ( نور ) يعبر الفجوة بين خيوط الليزر ، ويقف إلى جوار ( محمود ) ، خارج الزنزانة ، فى حين ارتفع أزيز خافت من الساعة ، ثم توقَّف فجأة ، وعادت خيوط الليزر إلى موقعها الأوّل ، لتغلق الزنزانة ، وأسرع ( محمود ) يستعيد ساعته ،



ويحيط بها معصمه ، فى نفس اللحظة التى عاد فيها الحارس ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ انتهت الزيارة أيها السادة .

أدار ( رمزى ) وجهه إلى الحائط ، على حين اتجه انتباه الحارس إلى زِرّ خيوط الليزر ، تمامًا كما توقَّع هو ، وأعاد بطاقته المغناطيسية إلى ذلك التجويف ، الذى يجاور الزِرّ ، ثم أوقف خيوط الليزر ، وترك ( سلوى ) تغادر الزنزانة ، ثم أعاد الخيوط ، وابتسم فى خبث وهو يقول فى ثقة :

ـــ لن تنجح خطتكم فى تهريبه أيها السادة .. إن الفرار من هذه الزنزانة مستحيل !!

* * *

« كنت أتوقَّع هذا » .

غمغم القائد الأعلى بهذه العبارة وهو يبتسم ، ويراقب ما يحدث فى زنزانة ( نور ) ، عبر شاشات المراقبة ، فعقد الدكتور ( عبد الله ) ، مدير المختبرات العلمية للمخابرات ، حاجبيه ، وهو يراقب الشاشة ، قائلاً :

ـــ هل ستتركهم يغادرون المبنى يا سيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى فى صرامة :

ـ نعم .

ثم استطرد فى اهتمام :

ـ ما أن أبلغنى حارس أمن البوّابة أن الفريق كله قد أتى لزيارة ( نور ) دفعة واحدة ، وبأن ( رمزى ) يخفى نصف وجهه بضمادات سميكة ، حتى أدركت فورًا أنهم يُعِدّون خطة لتهريب ( نور ) ، فأمرت رجال المراقبة بالتجاوز عن القانون ، وعدم إبطال المراقبة فى أثناء الزيارة ، ونقل كل ما يحدث إلى شاشتى الخاصة .

وابتسم ، وهو يردف فى لهجة أقرب إلى الإعجاب :

ـ ولقد حدث ما توقَّعته ، وأثبت فريق ( نور ) أنه أعظم فرق الإدارة ، فلقد نفَّذوا خطة العصر ، ونجحوا فى تهريب ( نور ) من زنزانة إليكترونية حديثة ، كُنَّا نظن الفرار منها مستحيلاً .

غمغم الدكتور ( عبد الله ) فى قلق :

ـ ولكن هذا يخالف القانون يا سيِّدى .

ابتسم القائد الأعلى فى هدوء ، وشبَّك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يقول :

ـ رُوَيْدَك يا دكتور ( عبد الله ) .. أنت تعلم مثلى أن



( نور ) من ضباطنا الأوائل ، الذين يوليهم الجميع ثقة مطلقة ، وكلانا يرفض منذ البداية تصديق أنه خائن ، فلماذا لا نمنحه فرصة إثبات براءته ؟

عاد الدكتور ( عبد الله ) يغمغم فى قلق :

ـ ولكن القانون ..

لوَّح القائد الأعلى بكفه فى هدوء ، وحافظ على ابتسامته ، وهو يقول :

ـ وماذا عن الضمير يا دكتور ( عبد الله ) ؟ .. حاول أن تتجاهل تلك القواعد الروتينية ، وتفكِّر فى الأمر برمته على نحو آخر .. أنت تعلم أن هذه القضية بالذات متشابكة ومعقَّدة للغاية ، وبها الكثير من الغموض ، أليس كذلك ؟

أجابه الدكتور ( عبد الله ) فى حَذَر :

ـ هذا صحيح .

عاد القائد الأعلى يلوِّح بكفه ، وهو يقول :

ـ عظيم .. أليست هذه ـ بالذات ـ هى نوعية القضايا ، التى نسندها دائمًا لـ ( نور ) وفريقه ؟

غمغم الدكتور ( عبد الله ) :

ـ بلى .

اعتدل القائد الأعلى ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ إذن فلم لا نسند إليهم هذه القضية أيضًا ؟

ارتفع حاجبا الدكتور ( عبد الله ) فى دهشة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى يا سيِّدى ؟

أجابه القائد الأعلى فى رزانة وهدوء :

ـ أعنى أننا سنكتفى بمراقبة ( نور ) وفريقه يا دكتور ( عبد الله ) ، وسنترك ( نور ) يحل لغز قضية ( نور ) .

وعاد يسترخى فى مقعده ، وهو يردف فى ثقة :

ـ هذا هو الأسلوب الأمثل لحل مثل هذه الأمور المعقَّدة يا دكتور ( عبد الله ) .. سنترك ( نور ) يواجه ( نور ) .

ولم يدر القائد الأعلى أن عبارته كانت تتطابق مع الحقيقة المذهلة تمامًا ..

لقد كان على ( نور ) أن يواجه ( نور ) ..

* * *



# ٥ ـ الكل فى الجزء ..

زفرت ( سلوى ) فى قوَّة ، وكأنها تلقى بثقل هائل يجثم على صدرها ، حينما ابتعد ( نور ) بسيَّارة ( رمزى ) عن مبنى إدارة المخابرات العلميَّة ، وهتفت فى صوت يحمل كل توترها وانفعالها :

ـ يا إلهى !! .. لم أتصوَّر أبدًا أن الخطة ستنجح .

ابتسم ( نور ) ، وقال وهو يزيل الضمَّادات عن وجهه :

ـ لقد كانت خطة رائعة يا عزيزتى ، ويؤسفنى أنها قد كشفت قصورًا فى وسائل الأمن داخل الإدارة ، سأحاول وضع تقرير عن ذلك عند عودتى للعمل .

عقد ( محمود ) حاجبيه ، وقال من المقعد الخلفى للسيارة :

ـ ( نور ) .. إنك تبدو واثقًا من براءتك هذه المرَّة .

أجابه ( نور ) فى هدوء وثقة :

ـ هذا صحيح يا ( محمود ) .

وصل فضول ( سلوى ) إلى ذروته ، وهى تسأله :

ـ ألن تبلغنى بعدُ ما يدور فى عقلك يا ( نور ) ؟

التقى حاجباه ، وهو يقول :

ـ ليس الآن يا عزيزتى .. إن الأمر أعقد من أن يصدِّقه

أحد ، ولن يتخذ صورته الصحيحة فى ذهنى ، إلّا بعَد أن ألتقى بالدكتور ( منصور ) ، وأكشف حقيقة تجاربه السِّرِّيَة .

سأله ( محمود ) فى اهتمام :

ــ هل تؤمن بأنه المسئول عمّا حدث ؟

صمت ( نور ) لحظة ، وهو يقود سيَّارة ( رمزى ) الصاروخية ، عَبْر الطريق الخاص ، الذى يقود إلى ( أسيوط ) ، ثم أجاب فى صوت عميق :

ــ لو صحّ استنتاجى يا ( محمود ) ، فسيعنى هذا أننى لن أقاتل الدكتور ( منصور ) ، بل سيكون علىَّ أن أقاتل من هو أخطر من ذلك .

وعاد إلى صمته لحظة أخرى ، وقبل أن يردف فى لهجة ارتجف لها جسد ( سلوى ) :

ــ سأقاتل نفسى .

★ ★ ★

اتسعت عينا الدكتور ( منصور ) فى دهشة ، حينما ولج حجرة مكتبه فى المستشفى ، وأغلق بابها خلفه ، ثم التفت ليجد ( نور ) جالسًا خلف مكتبه ، ومصوِّبًا إليه مسدَّسًا ليزريًّا ، ولكن دهشته هذه لم تستغرق أكثر من نصف دقيقة ، عاد بعدها





ثم التفت ليجد ( نور ) جالسًا خلف مكتبه ، ومصوِّبًا إليه مسدَّسًا ليزريًّا

يعقد حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـــ إذن فأنت ذلك الضابط الخائن ، الذى يبحثون عنه ! .. هل لك أن تخبرنى عمّا تفعله فى مكتبى الخاص ؟

أجابه ( نور ) فى هدوء :

ـــ كنت أنتظرك يا دكتور ( منصور ) .

لوَّح الدكتور ( منصور ) بذراعه ، وهو يقول فى سخط وغضب :

ـــ إننى أرفض استقبال الخونة فى مكتبى .

ابتسم ( نور ) فى هدوء ، وسدَّد مسدَّسه الليزرىّ نحو رأس الدكتور ( منصور ) ، قائلاً فى برود :

ـــ أنت مضطر لذلك يا سيِّدى للأسف ، ما لم تكن ترغب فى أن يخترق رأسك العبقرىّ شعاع من اللّيزر .

عقد الدكتور ( منصور ) حاجبيْه ، وقد لاحت له دِقَّة الموقف ، وقال فى صرامة :

ـــ ماذا تريد ؟

أجابه ( نور ) فى صرامة أشد :

ـــ ما نوع التجارب التى تجريها بالضبط يا دكتور ( منصور ) ؟



هتف الدكتور ( منصور ) فى عناد :

ـــ لو تصوَّرت أن مسدَّسك المصوَّب إلى رأسى سيجعلنى أخبرك فأنت واهم .. إن تجاربى سِرِّيَّة ، وستبقى كذلك ، والقانون يمنحنى هذا الحق و ..

قاطعه ( نور ) فى صرامة :

ـــ مَنْ قال إن تجاربك سرِّيَّة إلى هذه الدرجة ؟

أجابه الرجل فى حِدَّة :

ـــ أنا .. وليس هناك من يعرفها سوى ( حازم ) و ( هشام ) ، وأنا ، وما من مخلوق آخر فى الكون يمكنه ..

عاد ( نور ) يقاطعه فى لهجة خشنة :

ـــ أنا أعرف طبيعة تجاربك .

حدَّق الرجل فى وجهه فى دهشة ، ثم لم يلبث أن هتف فى سخط :

ـــ خُدعة ساذَجة أيها الرائد الخائن .

استرخى ( نور ) فى مقعده فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ هكذا ؟! .. سأخبرك أنا إذن عن طبيعة تجاربك .. إنها تعتمد على إنبات كائنات متكاملة من جزء من كائن مشابه .. أليس كذلك ؟

اتسعت عينا الدكتور ( منصور ) فى ذعر وذهول ، ثم بدا أقرب إلى الانهيار ، وهو يلقى جسده فوق أقرب مقعد إليه ، مغمغمًا :

ـ يا إلهى !! .. كيف عرفت هذا ؟

أجابه ( نور ) فى صرامة :

ـ ليس هذا بالأمر العسير يا دكتور ( منصور ) ، فالعلماء يجرون هذه التجارب منذ عام ألف وتسعمائة وثمانين ، ولكن نجاحهم اقتصر فى المرحلة الأولى على إنتاج نبات كامل ، من خلية واحدة ، ثمَّ عزلها وتنميتها فى وسط مناسب ، ثم ..

قاطعه الدكتور ( منصور ) ، قائلاً فى انفعال :

ـ لقد كان ذلك أمرًا تافهًا يا فتى ، فالخلية التى يتم انتزاعها من نبات ما ، وتنميتها فى وسط ملائم ، يمكنها أن تنتج نباتًا مشابهًا تمامًا للنبات الأصلىّ ، الذى انتزعت منه الخلية الأولى ، ولقد نجح العلماء أيضًا ، عام ألف وتسعمائة وخمسة وثمانين ، فى إنتاج ضفدعة كاملة من خلية واحدة ، تم اختيارها من ضفدعة حية ، ولقد جاءت الضفدعة الجديدة نسخة طبق الأصل من الأولى ، ولكنهم عجزوا عن تخليق أى حيوان ثديى ، من خلية منتزعة من حيوان آخر (*) ؛ لأنهم لم يعلموا

(*) حقيقة علمية .



من أى جزء من أجزاء الجسم ، ينبغى أن تنتزع هذه الخلية المنفردة .

أرخى ( نور ) مسدَّسه الليزرىّ ، وهو يستمع فى اهتمام إلى حديث الدكتور ( منصور ) ، الذى أردف فى انفعال بالغ :

ـ ولقد توصَّلت أنا إلى هذا السِّر .. توصَّلت بعد ربع قرن من البحث والدراسة .. توصَّلت إلى المنطقة التى ينبغى انتزاع خلية منفردة منها ، وتنميتها على مخلوق مطابق تمامًا للمخلوق الأصلى ، صاحب الخلية الأولى ، ولن أكشف سرّ هذه المنطقة حتى ولو قتلتنى .

لم يكن ذلك السِّر يعنى ( نور ) ، الذى خفق قلبه فى قوّة ، حينما شعر باقترابه من حلِّ اللُّغز المخيف ، فواصل استماعه إلى الدكتور ( منصور ) ، الذى نهض من مقعده ، وشمله الحماس وهو يستطرد :

ـ أنا أوَّل عالم فى الكون كله ، ينجح فى تنمية كائن ثديى كامل من خلية واحدة ، بل جعله ينمو بمعدَّل خرافى ، بحيث يصل إلى النمو الكامل فى عشرة أيَّام فحسب .. ولقد جاءت النتائج رائعة ومذهلة ، حتى بالنسبة إلىّ ، فالكائن الجديد ينمو فى سرعة فائقة ، حتى يصل إلى نفس مرحلة العمر ، التى كان

عليها أصله ، حينما انتزعت منه الخلية الأولى ، ثم يتوقَّف نموه السريع لسبب غير مفهوم ، ويعود إلى النمو بنفس المعدَّل الطبيعى .. ومن العجيب أنه يحمل كل صفات الكائن الأصلىّ ، فى تطابق مذهل ، لا يحدث حتى بالنسبة للتوائم المتشابهة ، فهو يحمل نفس الملامح ، وفصيلة الدم ، وحتى الذاكرة .. لقد كان الجرو ، الذى نبت من خلية واحدة ، يذكر كل ما تعلَّمه ذلك الجرو الأصلى ، الذى انتزعت منه هذه الخلية .. لست أدرى تفسير ذلك علميًا ، ولكن هذا ما يحدث .. إننى أنتج كائنًا هو نسخة طبق الأصل من الكائن الأصلىّ .. إن نجاحى هذا سيضعنى على قمة قائمة العلماء عبر كل العصور .. لقد حقَّقت ما ظنه الجميع مجرَّد حلم مستحيل .

عقد ( نور ) حاجبيه فى حَنق ، وهو يقول :

ــ وماذا عن تخليق إنسان كامل من خلية واحدة من جسده ؟ .. هل يسعدك أنها قد حقَّقت نجاحًا مذهلاً ، جعل الجميع يتَّهموننى بالخيانة .

علت وجه الدكتور ( منصور ) دهشة حقيقية ، وهو يغمغم :

ــ تخليق إنسان كامل ؟! .. ولكننى لم أبلغ هذا المدى من تجاربى بعد .



زفر ( نور ) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ أعلم ذلك يا دكتور ( منصور ) .. أعلم ذلك .

ثم مال نحو الرّجل ، الذى ارتسمت على وجهه دهشة بالغة ، واستطرد فى انفعال :

ــ هل تذكر ذلك الحادث ، الذى تعرَّضت له أنا وزوجتى ، والذى عالجت أنت إصابتى منه ؟

غمغم الرجل فى حَيْره :

ــ إننى أذكره بالطبع .

عاد ( نور ) إلى جلسته الأولى ، وهو يقول :

ــ لم أكن أنا المقصود بهذا الحادث يا دكتور ( منصور ) .

وشملت نظراته وجه الرجل ، وهو يستطرد :

ــ كان المقصود هو قتلك أنت يا دكتور ( منصور ) .

* * *

# ٦ ـ الحقيقة المذهلة ..

تململت ( سلوى ) فى مقعدها ، داخل سيارة ( رمزى ) الصاروخية ، وبدت شديدة القلق والتوتُّر ، وهى تلتفت إلى ( محمود ) ، الذى يحتلّ مقعد القيادة ، قائلة فى عصبيَّة :

ـ لقد طال غياب ( نور ) .. تُرى ماذا يفعل طوال كل هذا الوقت ؟

أجابها ( محمود ) فى هدوء ، وهو يراقب مدخل المستشفى فى اهتمام :

ـ الأمر يحتاج إلى وقت طويل يا ( سلوى ) ، فلا تنسَىْ أنه يواجه الرجل بالحقيقة .

عقدت حاجبيها ، وهى تقول فى غضب :

ـ نعم .. الحقيقة التى لم يخبرنا بها .

ابتسم ( محمود ) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

ـ ليس هذا هو المهم الآن يا ( سلوى ) .. إن ( نور ) يسعى لإثبات براءته ، وهذا ما نسعى إليه جميعا ، وعلينا أن نثق به ثقة عمياء ، وننفِّذ أوامره بلا مناقشة .

تطلَّعت إلى باب المستشفى لحظة ، قبل أن تغمغم فى حَنَق :

ـ أكاد أتنازل عن نصف عمرى ، لمعرفة ما يدور هناك .



أجابها ( محمود ) :

ـ احتفظى بعمرك كله يا ( سلوى ) .. إننا لن نعلم إلّا ما يخبرنا به ( نور ) .

وتسلَّل القلق إلى صوته ، وهو يستطرد :

ـ وليفعل الله ( سبحانه وتعالى ) ما فيه الخير للجميع .

★ ★ ★

لم يدر الدكتور ( منصور ) كم مضى من الوقت ، وهو يحدِّق فى وجه ( نور ) فى ذهول ، قبل أن يَشْحُب صوته كوجهه ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

ـ قتلى أنا ؟! .. لماذا ؟ .. مَنْ ذا الذى يريد قتلى ؟

أجابه ( نور ) فى هدوء ، وهو ينهض من خلف المكتب :

ـ سأخبرك أنا يا دكتور ( منصور ) .

وترك مسدَّسه الليزرى فوق المكتب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يسير فى الحجرة ، مستطردًا فى اهتمام :

ـ لقد تصوَّرت فى البداية ، كما تصوَّر والدى ، أننى كنت المقصود بذلك الحادث ، وأن وصولك المفاجئ بعد لحظات من الحادث ، لم يكن سوى جزء من خطة محكمة ، تهدُف إلى

التخلّص منى ، أو وصمى بالخيانة ، عن طريق زرع جهاز توجيه خاصّ فى خلايا مخّى ، إلّا أننى تذكّرت فجأة أن صديقنا الممثل ( ممدوح خالد ) ، هو الذى أرسل لنا دعوتى المسرحية ، وهذا يعنى أن أحدًا لم يكن يعلم بأمر انطلاقنا فى ذلك الطريق ، فى هذا الوقت بالذات وهنا ترابطت أطراف الخيط كلها فى رأسى ، وتوصّلت إلى الحقيقة ..

لقد كنت أنت المقصود بالحادث ، ولكن الشخص ، الذى وضع خطة التخلّص منك ، تصوّر أن سيارتنا هى سيارتك ، بسبب الضباب الكثيف فى تلك الليلة ، فبثّ صورة الفتاة ، التى جعلتنا ننحرف عن الطريق ، ونرتطم بسفح الجبل ، ولهذا وصلت سيارتك بعدنا بلحظات ، فقد كانت هى السيارة المقصودة ، ولقد أنقذ ذلك الخطأ حياتى وحياتك معًا ، فأنت نجوْت من الحادث ، وأنا نجوْت من الموت بسبب إصابتى ..

وفى حجرتك هنا ، أخبرك والدى أننى ضابط فى المخابرات العلمية ، وكانت هذه المعلومة مفاجئة للمجرم ، الذى قرّر إلغاء الخطة الأولى ، والانتقال إلى خطة ثانية ، يفيد فيها من الموقف الجديد ، فانتهز فرصة وقوعى تحت تأثير المخدر ، وانتزع من جسدى خلية مناسبة ، من تلك المنطقة الخاصّة ،



التى ترفض الإفصاح عنها ، وحملها إلى معمله الخاصّ ، خارج المستشفى ، حيث يطبّق تلك التجارب ، التى يتعلّمها منك ، وانتقل فى جرأة إلى خطوة لم تنتقل إليها بعد ..

لقد صنع من خليتى شبيهًا لى ، يحمل كل صفاتى ، وملامحى ، وذاكرتى ..

صنع غريمًا مثاليًّا لى ..

وسرق ذلك الغريم ، الذى هو جزء من نفسى ، أسطوانات الكمبيوتر السرّيّة ، من إدارة المخابرات الخاصّة ، وتركنى أدفع ثمن جريمته ، وأنا عاجز عن إثبات براءتى .

كانت بصماته هى بصماتى ، ودماؤه هى دمائى ، وكل صفاته هى صفاتى ..

وكدت أصاب بالجنون ، وأعدم بتهمة الخيانة ، لولا أن تذكّرت أمر الجروين المتطابقين ، اللذيْن رآهما أبى هنا ، فى مكتبك .. وعلى الرغم من غرابة التفسير ، وصعوبته ، إلّا أنه بدا لى التفسير المنطقىّ الوحيد ، الذى يجعل الأمور مقبولة ومعقولة .

استمع إليه الدكتور ( منصور ) فى ذهول ، ثم هتف :

ــ إن كلامك يعنى أن ذلك المجرم هو ..

عجز عن إكمال عبارته ، فأكملها ( نور ) ، قائلاً :

ـــ واحد من مساعديك ( حازم ) أو ( هشام ) ، أو كلاهما يا دكتور ( منصور ) .

غمغم الدكتور ( منصور ) فى ألم :

ـــ ولكن لماذا حاول ، أو حاولا قتلى ؟

أجابه ( نور ) فى برود :

ـــ حتى يحوز ، أو يحوزا سرَّ كشفك ، دون أن تزاحمهما فيه ، وحتى يمكنهما استغلاله ، بحيث يعود عليهما بأرباح طائلة .

غمغم الدكتور ( منصور ) فى ذهول :

ـــ أرباح طائلة ؟ !

أجابه ( نور ) :

ـــ بالطبع .. هل تعلم كم تربح الجاسوسية العلمية ، فى عصرنا هذا يا دكتور ( منصور ) ؟

ارتسم مزيج من الوجوم والذهول على وجه الدكتور ( منصور ) ، وهو يهمهم بكلمات مبهمة ، قبل أن تتحوَّل همهمته إلى غمغمة مفهومة ، وهو يقول :



ـــ الاثنان .. هذا مستحيل !! لا يمكن أن أكون قد أخطأت اختيار الاثنين .. إنه واحد منهما فقط ولاشك .

أومأ ( نور ) برأسه موافقًا ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ أعتقد أننى أميل إلى ذلك يا سيِّدى .

امتلأ صوت الدكتور ( منصور ) بمزيج من اللهفة والسخط ، والغضب ، وهو يسأل ( نور ) :

ـــ من منهما أيها الرائد ؟ .. من ؟

التفت ( نور ) إلى باب الحجرة ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ لا تتعجَّل الأمور يا دكتور ( منصور ) .. سيدخل الخائن من هذا الباب بعد لحظات .

لم يكد ( نور ) يتم عبارته ، حتى بدت وكأنها نبوءة خارقة ، فقد فُتح الباب فجأة ، ودخل أحد مساعدى الدكتور ( منصور ) إلى الحجرة ، ووقف يحدج الاثنين بنظرات باردة ، فى حين حدَّق الدكتور ( منصور ) فى وجهه ، وهو يهتف فى سخط :

ـــ إذن فهو أنت !! .. هو أنت يا ( هشام ) !!

وفى حركة سريعة ، التقط ( هشام ) من جيب معطفه مسدَّسًا ليزريًا ، وصوَّبه إليهما ، وهو يبتسم فى برود ، قائلا :

وفى حركة سريعة، التقط (هشام) من جيب معطفه مسدّسًا ليزريًا وصوّبه إليهما

ــ نعم .. هو أنا يا دكتور ( منصور ) .. أنا الذى سيفوز بكل الجوائز .. مع اعتذارى لكما .

واختتم عبارته بضحكة شيطانية ساخرة ..

* * *



# ٧ — الرجفة ..

لم يكد صوت الضحكة الشيطانية يتلاشى ، حتى ارتفع صوت الدكتور ( منصور ) ، وهو يهتف فى سخط هائل :

— أيها الخائن .. أيها الوغد .. إنك ..

قاطعه ( هشام ) بصوت صارم عنيف :

— كُفَّ عن غطْرَستك هذه أيها المأفون ، ألم تر بعدُ أن الأمور قد انقلبت ، وكشفت عن وجهها الآخر ، الذى يرسل بك إلى ذيل القائمة ؟!

احتقن وجه الدكتور ( منصور ) ، وهو يهتف :

— ذيل القائمة ؟! .. إنه اختراعى أنا أيها الحقير .. كشفى أنا ..

أطلق ( هشام ) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— حاول أن تثبت ذلك أيها المُتغطْرِس .. فبعد أن أتخلَّص منك ، ومن ( حازم ) ، ومع إصرارك الغبىّ على الحفاظ على سرِّيَّة تجاربك ، سيكون من السهل أن أدَّعىَ أن تجاربك كانت تدور حول شىء سخيف ، وبعد عام أو عامين يمكننى أن أقدِّم تجاربك باسمى ، وأحوز المجد كله .

اختنقت الكلمات فى حلق الدكتور ( منصور ) ، وازداد



احتقان وجهه ، وهو يحاول أن ينطق بكلمة ما ، ولكن يبدو أن المفاجآت التى توالت عليه قد زلزلت كيانه ، فقد بدا لحظة وكأنه سيهوِى فاقد الوعى ، قبل أن يتشبَّث بحافَةِ مكتبه ، ويُلْقِى جَسَده على المقعد المجاور له ، وهو يغمغم فى صوت متحشرج :

— يالَكَ من حقير !! يالك من حقير !!

ثم أدار عينيه إلى ( نور ) فى حركة حادَّة ، وهو يستطرد فى مرارة :

— لاريْبَ .. لاريب أنك شريكه .. وإلّا فكيف ؟ .. كيف عرفت أنه سيدخل إلى الحجرة ؟

هزَّ ( نور ) كتفيه ، وهو يقول فى هدوء :

— أخطأت التفسير كالمعتاد يا دكتور ( منصور ) ، كان ينبغى أن تسألنى أوَّلاً : كيف عرف هو أننى ضابط مخابرات علمية ، فى حين كنت أنت ووالدى وحدَكما فى الحجرة ، حينما أخبرك والدى بذلك ، وجدران حجرتك عازلة للصوت ؟

ضاقت عينا ( هشام ) ، وهو يحدج ( نور ) بنظرة قاسية ، فى حين استطرد هذا الأخير فى هدوء :

— لقد كان يتصنَّت على حجرتك بجهاز ناقل للصوت .

ثبّته فى مكان ما هنا يا سيّدى ، ولمّا كنت قد استنتجت هذا منذ البداية ، فقد كنت أعلم أنه يستمع إلينا حتمًا ، وأنا أسْرُد عليك ما توصَّلت إليه ، وكان من الطبيعىّ ، حينما يعلم أننى قد كشفت الأمر ، أن يحاول إيقافنا ، قبل أن تنقلب الأمور على رأسه ، وكان لابدُّ له من أن يسرع إلى هنا ، ويهدّدنا بمسدَّسه .

امتلأت نفس الدكتور ( منصور ) بالحَيْرة والشرود ، وهو يحدِّق فى وجه ( نور ) بعينين زائغتين ، غير مصدِّق لما يتهاوى على نفسه من صواعق الحقيقة ، على حين علت شفتى ( هشام ) ابتسامة شيطانية ، وهو يقول :

ــ رائع أيها الرائد .. إننى أشعر بالابتهاج ، كلما أبديت أنت لمحة من لمحات عبقريتك ، فلا تنس أننى أمتلك نسخة طبق الأصل منك ، فيما عدا أنها تسير على منهاجى الخاص .

التفت إليه ( نور ) ، يحدجه بنظرات هادئة ، قبل أن يسأله فى صوت يحمل الكثير من الفضول :

ــ مادمت قد أشرت إلى ذلك ، فدعنى ألقى عليك ذلك السؤال ، الذى لم أجد له جوابًا حتى الآن ، وهو كيف أصبح شبيهى مخالفًا لى تمامًا فى الانتماء لهذا الوطن ، مادام يحمل نفس صفاتى ، وذاكرتى ؟



بدا الزَّهْوُ على وجه ( هشام ) ، ولوَّح بمسدَّسه ، هو يقول فى تفاخر :

ــ غسيل المخ يا صديقى .. لقد كانت فرصة مثالية أن تراقب مخًا بشريًا ، وهو ينمو أمامك فى سرعة فائقة ، خلال عشرة أيام فحسب ، ولقد تركت له ذاكرته ، أو ذاكرتك بمعنى أدق ، ولكننى أقنعته وهو ينمو بأنك عدُوُّه الأوَّل ، الذى يسعى لتدميره ، وأن فرصته الوحيدة فى البقاء هى فى إزاحتك من الطريق .

عقد ( نور ) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إذن فقد تعمَّد أن يكشف حادث السطو الذى ارتكبه ، حتى يوقع بى أنا ، وللسبب نفسه تعمَّد جرح راحة يده ، وترك دماءه تنزف على أرض المعمل ، وترك مُديَته خلفه .. كل هذا حتى يتخلَّص منى .

أطلق ( هشام ) ضحكة ساخرة ، قبلَ أن يقول :

ــ إنه عبقرى .. مثلك تمامًا أيها الرائد ، ولقد كان يعلم كيف سيفكِّر صديقك الطبيب النفسى ، وكيف سيتصرَّف طبيبكم الشرعىّ .. لقد تصرَّف على نفس النحو ، الذى كان من الممكن أن تتصرَّف أنت به ، لو أنك فى موقعه .. إنه جزء منك أيها الرائد .. جزء صار نسخة مذهلة من شخصيتك .

بدا الغضب على وجه ( نور ) ، وهو يغمغم :

ـــ نسخة شرِّيرة !!

عاد ( هشام ) يطلق نفس ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

ـــ بل نسخة ملائمة لمشروعاتى المستقبلية أيها الرائد .. نسخة تصلح لصنع أقوى جاسوس فى العالم .

لوَّح ( نور ) بكفه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـــ خطة فاشلة أيها الوغد ، فإدانتى بتهمة الخيانة تعنى إدانته أيضًا .

هزَّ ( هشام ) كتفيه فى استهتار ، وهو يقول :

ـــ المهم أن تذهب أنت أوَّلاً ، وبعدها كان عقله العبقرىّ سيجد وسيلة مناسبة لظهوره ، مدَّعيًا مثلاً أنك أنت النسخة ، وأنه هو الأصل ، أو أى حلّ آخر .. إنه عبقرىّ ، كما لابدّ أنك تعلم ، ولن يعجز عن تبرير ظهوره ، ثم إنه لا توجد وسيلة واحدة فى العالم أجمع للتمييز بينكما .

انبعث صوت الدكتور ( منصور ) فجأة ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـــ هذا صحيح .



ثم عاد إلى صمته ، كما لو أن هذه العبارة هى كل ما بقى فى حنجرته ، بعد الصَّدمات المتتالية التى تلقَّاها فى الدقائق الماضية ، ولقد تجاهل ( نور ) العبارة تمامًا ، وهو يسأل ( هشام ) :

ـــ سؤال آخر .. كيف عرف شبيهى أننى اختبئ فى معمل الدكتور ( حجازى ) الخاص ؟

هزَّ ( هشام ) رأسه ، وهو يقول :

ـــ لست أدرى .. إنه لم يفصح عن ذلك أبدًا .

وهنا انبعث صوت الدكتور ( منصور ) مرة أخرى ، وهو يقول فى تخاذل :

ـــ التخاطر العقلى يا ولدى .. إنه أحد صفات التوائم المتشابهة(*) وشبيهك هو جزء من جسدك ، ومن الطبيعى أن يحدث بينكما تخاطر عقلىّ ، إلى درجة ما .

لم يكد الدكتور ( منصور ) يتمُّ عبارته ، حتى اندفع ( حازم ) ، المساعد الثانى ، داخل الحجرة ، وهو يهتف فى لهفة :

ـــ دكتور ( منصور ) .. إن الجرو الآخر قد ..

---

(*) حقيقة علمية .

واختنق النصف الثانى من العبارة فى حلقه فجأة ، وهو يحدّق فى الحجرة ، قبل أن يهتف فى دهشة :

ـ ماذا يحدث هنا ؟

ثمَّ اندفع نحو ( هشام ) ، صائحًا فى سخط :

ـ كيف تجرؤ على حمل مسدَّس ليزرىّ فى حضرة أستاذنا الـ ..

وفجأة ، وبلا أدنى قدر من التردُّد ، أطلق ( هشام ) أشعة مسدَّسه الليزرىّ نحو ( حازم ) ، وبلا أدنى قدر من التردُّد أيضًا ، انقضّ ( نور ) على خصمه ..

★ ★ ★

اخترقت الأشعة القاتلة رأس ( حازم ) بلا رحمة ، فجحظت عيناه فى مزيج من الذهول والألم ، قبل أن يسقط جثة هامدة ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها ( نور ) نحو ( هشام ) ، وركل مسدَّسه فى قوَّة ، ثم كال له لكمة قويَّة ، جعلته يترنَّح ، إلّا أنه تفادى لكمة ( نور ) الثانية فى براعة ، كأنَّما لم يتلق لكمته الأولى منذ لحظة واحدة ، وانقضّ على ( نور ) بدوره يلكمه فى معدته ..



كانت اللكمة قويّة عنيفة ، إلّا أن ( نور ) احتملها فى بسالة ، ومال بجسده يسارًا مراوغًا خصمه ، ثم غاص بجسده إلى أسفل ، وانتصب لتهوى قبضته على فك خصمه كالقنبلة ، مما دفع ( هشام ) إلى الخلف ، ليرتطم ظهره بحافَةِ مكتب الدكتور ( منصور ) ، ويتأوّه فى ألم ..

وانتزع ذلك القتال المفاجئ الدكتور ( منصور ) من ذهوله ، وارتسم مزيج من الغضب والكراهية فى ملامحه ، واستدارت عيناه إلى حيث سقط مسدَّس مساعده ، وهبّ من مقعده فجأة ، وقفز يلتقط المسدَّس ، ويصوّبه إلى ( هشام ) ، وهو يصرخ فى ثورة :

ـ ستدفع ثمن جرائمك أيها الخسيس .

صاح ( نور ) فى جزع :

ـ كلَّا يا دكتور ( منصور ) .. كلَّا ..

ولكن ( هشام ) التقط فجأة مسدَّس ( نور ) ، الذى تركه على سطح المكتب ، ومال بجسده متفاديًا طلقة الأشعة ، التى انبعثت من مسدَّس الدكتور ( منصور ) ، ثم أطلق أشعة مسدَّسه هو ، لتنفذ من صدر الدكتور ( منصور ) ، وتخترق قلبه فورًا .

وجحظت عينا الدكتور ( منصور ) ، وسقط المسدَّس من كفه ، وهو يغمغم :



وحاول ( هشام ) أن يدير مسدسه نحو ( نور ) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وأمسك معصم خصمه

ـ أيُها الخسيس ، أيُها الـ ..

ثم سقط بدوره جثة هامدة ، وحاول ( هشام ) أن يدير مسدسه نحو ( نور ) ، ولكن هذا الأخير قفز جانبًا ، وَأمسك معصم خصمه ، ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، وهو يهتف فى غضب :

ـ أيها القاتل الحقير !!

سقط ( هشام ) أرضًا ، وأفلت مسدسه من يده ، فالتقطه ( نور ) فى خفة ومهارة ، وصوبه إليه ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ـ انتهت اللُعبة أيها الحقير .. لقد خسرت كل الجوائز ، التى كنت تحلم بها .

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى ( هشام ) ، وهو ينهض ممسكًا بفكه ، وقال فى برود :

ـ هل تظن ذلك؟ .. وماذا عن والدك أيها الهمام ؟

التقى حاجبا ( نور ) ، وهو يغمغم فى دهشة :

ـ والدى ؟ !

أطلق ( هشام ) ضحكة شرسة ، قبل أن يقول فى حدَّة :

ـ إذن فهم لم يخبروك أن والدك فى حوزتى ، وأنه سيلقى مصرعه ، ما لم تصحبنى فى هدوء إلى معملى الخاص .

أجابه ( نور ) فى صرامة شديدة ، تمتزج بمزيج من السخط والغضب :

ــ لو مسَسْت شعرة واحدة من جسد والدى سأ ..

قاطعه ( هشام ) فى سخرية :

ــ مسدَّسك أيها الرائد .

ران عليهما لحظة قصيرة ، تبادلا خلالها نظرةً صارمة متحدِّية ، قبل أن يلقِىَ ( نور ) مسدَّسه فى حَنَق ، وهو يقول :

ــ إنك لم تترك لى الخيار أيها الوغد .

انحنى ( هشام ) ليلتقط المسدَّس فى هدوء ، ثم دسَّه فى جيب مِعْطَفه ، وعادت تلك الابتسامة الساخرة ترتسم على شفتيه ، وهو يواجه ( نور ) ، قائلاً :

ــ اختيار حكيم أيها الرائد .. والآن هيَّا بنا .. لقد حان الوقت لتواجه خليتك ، التى صارت رجلاً يافعًا ..

★ ★ ★

سرت ارتجافة فى جسد ( محمود ) ، وتشبَّثت قبضتاه بعجلة قيادة السيَّارة ، وهو يقول فى صوت متحشرج منفعل :

ــ ها هما .



حدَّقت ( سلوى ) فى ( نور ) و ( هشام ) ، اللذين يسيران نحو سيَّارة ( هشام ) الصاروخية فى هدوء ، وهتفت فى انفعال :

ــ إن ( نور ) يسير إلى جواره كأنما كانا صديقين .

أجابها ( محمود ) فى توتُّر ، وهو يدير محرِّك سيارته :

ــ إنهم لن يتقاتلا فى الطريق يا ( سلوى ) ، خاصةً وأن ( نور ) كان يتوقَّع ذلك ؛ لذا فقد طلب منَّا أن نتبعه ، إذا ما رأيناه يغادر المستشفى بصحبة طبيب شاب .

هتفت فى عصبية :

ــ ماذا تنتظر إذن ؟ .. هيَّا بنا .

وفجأة مرقت سيَّارة إلى جوار سيارتهما ، وانحرفت لتتوقَّف أمامهما تمامًا ، فى حين توقَّفت أخرى خلفهما ، وقفز من السيارتين عدد من رجال الشرطة ، صوَّب أحدهم مسدَّسه إليهما ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أوقف المحرِّك يا فتى .. إننا نلقى القبض عليكما .

تطلَّعت ( سلوى ) فى جزع إلى سيارة ( هشام ) ، التى انطلقت مبتعدة ، وبداخلها زوجها ( نور ) ، فى حين هتف ( محمود ) فى توتُّر :

— بأية تهمة أيها الضابط ؟ .. إننا على عجلة من أمرنا ، وكل أوراقنا سليمة .

ارتجف جسداهما فى قوة ، حينما أجابهما الضابط فى هدوء :

— إنه أمر من المخابرات العلمية .. إننا نلقى القبض عليكما بتهمة الاشتراك فى تهريب الرائد السابق ( نور الدين محمود ) من سجنه .

اتسعت عينا ( سلوى ) و ( محمود ) فى ذعر ، وخفق قلب ( سلوى ) فى قوة ، وهى تلمح سيارة ( هشام ) تختفى فى منعطف جانبىّ ، ووجدت نفسها تغمغم فى ألم ومرارة :

— ياإلهى !! .. لقد أفسدتم كل شىء .. لقد فقدنا ( نور ) إلى الأبد ..

★ ★ ★

انطلقت سيّارة ( هشام ) ، يقودها هذا الأخير ، عبر طريق جبلىّ ضيّق ، لعشر دقائق كاملة ، دون أن يتبادل هو و ( نور ) كلمة واحدة .

كان كلاهما يشعران بالانفعال الشديد ..

كان مرجع انفعال ( هشام ) إلى قرب نجاح خطته ، على نفس النحو الذى وضعه ، مع تعديل



طفيف ، فقد اضطر لقتل ( حازم ) ، والدكتور ( منصور ) ، وصار هو الوحيد الذى يعلم بسرّ التجارب الخارقة ، التى أنجبت شبيه ( نور ) ، ولقد حرص على أن يغادر المستشفى مع ( نور ) ، أمام عيون الجميع ، حتى يمكنه أن يدَّعِىَ فيما بعد أن ( نور ) هو الذى قتل الاثنين ، وأنه قد أجبره على اصطحابه إلى الخارج ، وقيادة سيّارته إلى مكان يجهله ، وستبدو أقواله منطقية ومقبولة ، مادامت شرطة ( مصر ) كلها تطارد ( نور ) ، ومادام هو طبيبًا معروفًا فى المستشفى بحسن الخلق ، والهدوء ..

أمّا ( نور ) فقد كان انفعاله يعود إلى قرب لقائه بشبيهه ، الذى هو جزء من جسده .

كان هذا يثير فى أعماقه اللهفة والخوف فى آن واحد ، فهو أوّل مخلوق على وجه الأرض تتاح له فرصة مقابلة نفسه وجهًا لوجه ، ولقد حصل هو على هذه الفرصة النادرة فى مغامرة سابقة هى الأرض الثانية(*) ، حينما التقى بـ ( نور ) ، ولكن الذى سيقابله هذه المرّة هو نفسه ..

---

(*) راجع قصة ( الأرض الثانية ) .. المغامرة رقم ( ٤٢ ) .

جزء من نفسه ..

وتوقّفت سيارة ( هشام ) أمام منزل صغير ، فى أعماق الجبل ، وهبط هو منها ، وهو يقول :

ـ بعدك أيها الرائد .

هبط ( نور ) من السيّارة ، واتجه نحو المنزل ، وانفعاله يتصاعد مع كل خطوة يخطوها ، إلّا أن ذلك الانفعال قفز فجأة إلى ذرْوَته ، وجعل جسد ( نور ) يرتجف من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ، على الرغم من معرفته بما ينتظره ، حينما فُتح باب المنزل فجأة ، وظهر على عتبته شبيهه ، الذى هو نسخة كاملة منه ، ورآه يبتسم فى سخرية ، ويقول :

ـ مرحبًا أيها الرائد ( نور ) .. كم تسعدنى مقابلتك .. أقدّم لك نفسى .. أنا أيضًا الرائد ( نور ) ..

كانت ارتجافة جسد ( نور ) قويّة عنيفة ، وهو يواجه نفسه ..

كان ( نور ) يواجه ( نور ) ..

* * *



# ٨ ـ ( نور ) ضد ( نور ) ..

عجز ( نور ) طويلاً عن التحديق فى وجه شبيهه ، واستنكر عقله فى اللحظات الأولى كون هذا الشاب ، الذى يجلس أمامه ، والذى يطابقه فى كل دقيقة من دقائقه ، لم يكن منذ أسبوعين وبضعة أيام سوى خلية واحدة ، فى مكان ما من جسده ..

كان يعلم أن هذه هى الحقيقة ..

الحقيقة التى تفوق أبرع دروب الخيال ..

الحقيقة التى صنعت منه خائنًا فى عيون الجميع ..

وفهم الآن فقط ، لماذا خامره شعور بالعجز عن مقاتلة خصمه ، حينما واجهه فى معمل الدكتور ( حجازى ) الخاص ، وقبل حتى أن يكشف عن وجهه ..

لقد أدرك جسده ، قبل أن يدرك عقله ، أن خصمه ليس سوى جزءٍ من نفسه ..

خلية من خلاياه ..

خلية قاتلة متمرّدة ..

لقد رفض جسده منذ البداية أن يقاتل نفسه ..

رفض ( نور ) أن يقاتل ( نور ) ..

ومرة أخرى سرت فى جسده تلك الارتجافة ، حينما قال شبيهه فى سخرية :

ــ ماذا أصابك ؟ .. هل تدهشك رؤيتى إلى هذا الحد ؟

أجابه ( نور ) فى خفوت :

ــ هل ترى موقفنا هذا تقليديًّا ؟

هزَّ الشبيه كتفيه فى لامبالاه ، وهو يقول :

ــ إنه أمر طبيعى بالنسبة لى على الأقل ، فلقد نشأت وأنا أعلم أننى جزء منك ، وأن فرصتى الوحيدة فى البقاء هى التخلّص منك .

غمغم ( نور ) فى مرارة :

ــ لماذا ؟

مطَّ الشبيه شفتيه ، وهو يقول :

ــ أمر طبيعى يا أصلى العزيز .. إن بقاءنا معًا يخلق الكثير من المشاكل ، فهو يخالف قوانين الطبيعة ، وحتى لو حاولنا ، وحاول العالم كله التكيُّف مع الموقف ، فسيأتى يوم يتحتم فيه التخلّص من أحدنا ، حتى تعود قوانين الطبيعة لمسارها الطبيعى .

لوَّح ( نور ) بكفه ، وهو يقول فى حَنَق :



ــ ألم تحاول أبدًا تصوُّر العكس ؟ .. ألم تتصوَّر مدى النجاح الذى يمكن أن نحقّقه معًا ، لو أننا عملنا جنبًا إلى جنب ؟ .. سنكون أعظم فريق مخابرات علمية فى الكون كله و ..

قاطعه الشبيه فى كراهية واضحة :

ــ وماذا عن ذاكرتنا المشتركة ؟

رفع ( نور ) حاجبيه فى دهشة ، وهو يقول :

ــ إنها مزيَّة وليست نقيصة .

لوَّح الشبيه بذراعه فى مقت مخيف ، وهو يهتف :

ــ هذا ما تظنه أنت ؛ لأنك أنت الذى يفوز بكل شىء ، لا أنا .

ثم هبَّ من مقعده ، وهو يستطرد فى بغض :

ــ هل نسيت أن ذاكرتى مازالت تحمل حب ( سلوى ) ، الذى يملأ قلبك أنت ؟ .. وأن ذاكرتى تصرّ على أننى والد ( نشوى ) ابنتك أنت ؟ .. هل تريد منى أن أمحو كل ذلك من ذاكرتى ، وأكتفى بمراقبتك ، وأنت تنعم بكل هذا ؟ .. بالزوجة ، والابنه ، والأصدقاء ، والأحباء ؟ .. لا يا من منحتنى خليتك الوجود .. إن ذاكرتنا المشتركة هى لعنة .. لعنة لا سبيل للقضاء عليها سوى القضاء عليك أنت .



ثم هبَّ من مقعده ، وهو يستطرد فى بغض :

ــ هل نسيت أن ذاكرتى مازالت تحمل حب ( سلوى ) .

عقد ( نور ) حاجبيه ، وهو يقول فى حنَق :

ــ الله ( سبحانه وتعالى ) هو الذى منحك الحياة والوجود ، وليس أنا ، ولم تكن تلك الخلية التى اغتصبت من جسدى سوى وسيلته ( سبحانه وتعالى ) لوجودك ، أمّا عن مخالفة قوانين الطبيعة فهذا ما أخالفك فيه ، فلو أن وجودك يخالف قوانين الطبيعة ما كنت هنا الآن .. إن وجودك هو تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، لم يدركه العلم إلّا مؤخرًا .

ابتسم الشبيه فى سخرية ، وهو يقول :

ــ المنطق الفلسفىّ لا يصلح وحده لحل الأمور ، فقد يكون وجودى هو تطبيق لقانون من قوانين الطبيعة ، ولكن هذا لا يمنع كونه خطأً .. إن قانون الطبيعة يحتِّم مصرع أى مخلوق ، لو قطعت عنقه ، ولكن الشرائع السماويّة تمنع ذلك ، دون وجه حق ، فهل تتصوَّر أن مجرَّد وجود القانون الطبيعى يعنى تطبيعه ؟

ــ أراك تتحدَّث بمنطق فلسفىّ أيضًا .

ــ ربّما ، ولكنه منطق مرفوض ، فلو أردت أن أحيا نفس الحياة الطبيعية ، التى تحياها أنت ، لكان من الضرورى أن نضع بديلاً لـ ( سلوى ) ، وآخر لـ ( نشوى ) ، ثم نقف

عاجزين أمام إنتاج منزل كمنزلك ، يحتل نفس الموقع ، ونفس المكان .. إن تطبيق هذا القانون الطبيعى ، الذى تدَّعى وجوده مستحيل يا صديقى .

— هذا التخبط هو مسئولية الرجل ، الذى أجرى تلك التجربة الشيطانية ، وليس مسئوليتى أنا .

— إنها ليست محاكمة للمسئول عمَّا حدث .. إنها محاولة لإعادة الأمور إلى طبيعتها الأولى ، مع فارق بسيط ، وهو أن أحتلَ أنا موقعك ، بعد أن يتم إعدامك .

عقد ( نور ) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

— وهل تظن أنك ستنجح فى خداع الجميع ، وإيهامهم بأنك أنا ؟

ابتسم الشبيه فى سخرية ، وهو يقول :

— دعهم يحاولون إثبات العكس .. كلانا يعلم أنه ما من وسيلة على وجه الأرض لإثبات ذلك .

ارتسمت ابتسامة غامضة على شفتى ( نور ) ، وهو يقول :

— هل تظن ذلك حقًّا ؟

لوَّح الشبيه بذراعه ، وهو يقول فى سخرية :



— بل أنا واثق من ذلك .. فلا توجد نقطة واحدة للتفرقة بيننا ، ولو أنك تفكِّر فى جرح ذراعك ، فلتعلم أننى قد طعنت ذراعى فى نفس الموضع ، وبمدية مشابهة تمامًا للمُدْيَة الأولى ، بعد أن غادرت معمل الدكتور ( حجازى ) تمامًا ، وهكذا سيجدون فى ذراعى طعنة تعود إلى نفس موعد إصابتك .

غمغم ( نور ) فى هدوء :

— وماذا عن جرح راحتك ؟

أطلق الشبيه ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

— إنه جرح سطحىّ صغير للغاية يا صديقى ، ولن يمكنك إثبات أنك لم تصب به ، ولن يمكنهم إثبات ذلك أيضًا .. أضف إلى هذا فرحتهم ، حينما يتصوَّرون أنك أنت التى نجوْت .

عقد ( نور ) حاجبيه ، وهو يقول :

— يبدو أن خطتك تخالف خطة ( هشام ) .

هزَّ الشبيه كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

— بالطبع .. إنه رجل غبىّ ، يتصوَّر أننى أفعل كل هذا من أجله ، ولم يدرك حتى الآن أننى أعمل لصالحى وحدى فقط .

ثم صوَّب مسدَّسه الليزرىّ فجأة نحو ( نور ) ، وهو يستطرد :

— والآن يا أصل وجودى العزيز ، انزع عن ذراعك تلك الضِّمادات ، التى تحيط بجرحك ، فلا ينبغى أن أترك دليلاً واحدًا ، يمكنه أن يحدِّد أينا الأصل ، وأينا يعود إلى خلية واحدة .

نزع ( نور ) الضِّمادات من حول ذراعه ، وهو يسأله فى هدوء :

— وأين والدى ؟

أشار الشبيه إلى حجرة جانبيه ، وهو يقول فى برود :

— هنا .. تحت تأثير مخدِّر قوىّ .

سأله ( نور ) فى هدوء ، وهو يلقى ضِمَاداته بعيدًا :

— هل تظن أنك ستنجح فى خداعه .

ابتسم الشبيه فى ثقة ، وهو يقول :

— نعم .. لقد تعمَّدت معاملته فى خشونة وجفاء طيلة الوقت ، وأوحيت إليه بأننى لا أذكر عن حياته السابقة شيئًا ، حتى بات يتصوَّر أن هذا هو أنا ، وما أن أبدأ فى التصرّف بأسلوبك ، وأذكر له نقطة أو نقطتين ، مما انتقل إلىّ من



ذاكرتك ، ومما لا يعلمه سواكما ، حتى يجد فى نفسه ميلاً لتصديق أننى ابنه الحقيقى .

زفر ( نور ) فى ضيق ، وهو يقول :

— يبدو أنك قد أعددْت لكل شىء عُدَّته .

ابتسم الشبيه ، وهو يقول :

— لا تنس أن عقلك أنت هو الذى يفكِّر يا صديقى .

وفجأة اندفع ( هشام ) داخل الحجرة ، التى يجلس فيها الشبيهان ، وهو يهتف فى ذعر :

— رجال الشرطة يحيطون بالمنزل .. لقد التقطتهم شاشات المراقبة .. سينقضُّون على المنزل بعد لحظات ، لابدَّ أن نفرَّ من هنا قبل ..

قاطعه الشبيه ، وهو يقول فى برود :

— اهدأ أيها الرجل ، لقد كنت أعلم أنهم سيراقبون ( نور ) ، حتى يَصِلوا إلى هنا .

هتف ( هشام ) فى دهشة واستنكار :

— كَنت تعلم ؟! .. لماذا لم تخبرنى إذن ؟

ابتسم الشبيه ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

— لم يكن هناك داعٍ لذلك أيها الرجل ، فلن يلقى رجال الشرطة القبض عليك أبدًا .

تضاعفت دهشة ( هشام ) ، وهو يهتف :

ـ ماذا تعنى بالله عليك ؟

أجابه الشبيه فى برود :

ـ أعنى ببساطة أننى أرفض أن أسمح لك بتكرار تجاربك السخيفة هذه ، التى وضعتنى فى هذه المأساة ؛ لذا فقد دمَّرت كل الوثائق ، التى سرقتها من الدكتور ( منصور ) ، وكل ما يتعلّق بهذه التجارب البشعة ، ولم يعد هناك من يعلم أسلوب إنتاج الخلايا سواك .

اتسعت عينا ( هشام ) فى ذعر ، وهو يتراجع مغمغمًا :

ـ يا إلهى .. هل تنوى ... ؟

جاءته الإجابة على هيئة دفعة من أشعة الليزر ، اخترقت رأسه ، وأرسلته إلى حيث يلحق بضحيته ( منصور ) و ( حازم ) ..

وبكل ما يملأ قلبه من مرارة ، وبكل ما يعتصره من ألم ، قفز ( نور ) نحو خصمه ..

ونشب القتال بين ( نور ) .. و ( نور ) ..

★ ★ ★



كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه ( نور ) ، فقد كان يقاتل نفسه ، وبنفس قوته ، وأسلوبه ..

كان القتال متكافئًا إلى حدّ نادر ، يستحيل حدوثه فى التاريخ كله ..

ولكنه لم يستمرّ طويلاً ..

لقد اقتحم رجال الشرطة المنزل فجأة ، وصوّبوا بنادقهم الليزرية إلى المتصارعَيْن ، وارتفع صوت الرائد ( فهمى ) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ كفى أيها السيِّدان .. إننا نلقى القبض عليكما ، وأحذركما من ..

ابتلع الجزء الباقى من عبارته ، مع غصة شديدة فى حلقه ، واتسعت عيناه فى ذهول ، وانتقل الذهول إلى كل رجال الشرطة المرافقين له ، حينما التفت إليهما الخصمان ..

كان الموقف مخيفًا ، مذهلاً ..

كان هناك رجلان ، من المستحيل التفرقة بينهما ..

رجلان هما ( نور ) و ( نور ) ..

وحدَّق رجال الشرطة فى الوجهَيْن بذهول ، قبل أن يشير أحد الخصمين إلى خصمه ، صائحًا :

كان ذلك الصراع هو أعجب وأقوى صراع اقتحمه ( نور ) ، فقد كان يقاتل نفسه

ـ ألقوا القبض على هذا الرجل .. إنه زائف .

وهنا هتف الآخر :

ـ لا تصدِّقوا ادّعاءه .. إنه هو الزائف .

ظلَّ الجميع يحدِّقون فى وجْهَى الشبيهَيْن فى ذُهول ، وهما يتبادلان الاتهامات ، قبل أن يعقد الرائد ( فهمى ) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ سنترك تحديد مَنْ منكما الأصلىّ ، ومَنِ الزائف ، للخبراء .. أمَّا الآن فأنا ألقى القبض عليكما معًا .. إننى ألقى القبض عليك يا ( نور ) .. وأنت يا .. يا ( نور ) .

* * *



## ٩ ـــ مَنْ ( نور ) ؟ ..

« مذهل !! .. إنها أعجب قضية واجهناها ، فى تاريخ المخابرات العلمية كله ! » .

نطق القائد الأعلى للمخابرات العلميّة هذه العبارة فى ذهول حقيقى ، جعل الدكتور ( عبد الله ) يقلّب كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

ـــ إنهما متطابقان على نحو مذهل يا سيِّدى ، وتطابقهما يتجاوز الصوت والملامح ، إلى تطابق البصمات ، وتحاليل الدم ، وتوزيع المسام العرقية ، وبصمات قزحية العين ، وحتى فى صور أشعة العظام والمخ .. إنه تطابق مذهل ، يتجاوز كل القواعد العلمية المعروفة ، وكلاهما يصرّ على أنه ( نور ) الحقيقى ، ولقد اتفقت قصتهما عن تجارب الإنبات الخلوى ، التى كان يجربها الدكتور ( منصور ) ، قبل مصرعه .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وهو يقول فى حَيْره :

ـــ هذا يبرئ ( نور ) الحقيقىّ من تهمة الخيانة بالطبع ، ولكن الآخر سيدان بتهمة الخيانة العظمى ، وسيكون الإعدام هو مصيره الحتمى ، ولكن كيف يمكن التفرقة بينهما ؟

غمغم الدكتور ( عبد الله ) فى يأس :



ـــ لقد عجزنا عن ذلك تمامًا يا سيِّدى .

صمت القائدُ الأعلى طويلاً ، وهو يفكِّر فى الأمر بعمق ، ثم لم يلبث أن التفتَ إلى الدكتور ( عبد الله ) ، قائلاً :

ـــ أعتقد أن رفاق ( نور ) هم أقدر من يمكنهم التفرقة بينهما يا دكتور ( عبد الله ) ، وأملنا الوحيد ، فى عودة الأمور إلى مجراها الطبيعى ، هو أن نعلم أيهما ( نور ) ، وأيهما خليته .

وعاد إلى صمته لحظة ، قبل أن يردف فى صرامة :

ـــ وسنجرى هذه المحاولة الأخيرة ..

★ ★ ★

وقف أفراد فريق ( نور ) ، إلى جوار الدكتور ( محمد حجازى ) ، ينقلون أبصارهم فى ذهول ، بين ( نور ) و ( نور ) ، قبل أن تغمغم ( سلوى ) :

ـــ مستحيل .. لا يمكن التفرقة بينهما البتة .

قال أحد الشبيهين فى هدوء :

ـــ كم يحزننى هذا يا عزيزتى ( سلوى ) ؟ .. كان ينبغى أن يجد قلبك الجواب ، هل نسيت شهر العسل الرائع ، الذى قضيناه معًا فى ( بلطيم ) ؟

أسرع الآخر يقول :

— لا تجعلى هذا يخدعك يا ( سلوى ) .. إنه يحمل ذاكرتى كما تعلمين .

نقلت بصرها بينهما فى حَيْرة ، ثم أخفت وجهها فى راحتيها ، وهى تغمغم فى ألم :

— مستحيل !! مستحيل !! لا يمكن التفرقة بينهما أبدًا .

قلب ( رمزى ) كفيه فى حَيْرة ، وهو يقول :

— حتى التحليل النفسى لن يفلح فى التفرقة بينهما ، فهما كائن واحد .. يا إلهى ! .. لم أشعر بمثل هذا العجز من قبل .

عقد الدكتور ( حجازى ) حاجبيه ، وهو يقول :

— أعتقد أننى أملك نقطة للتفرقة بينهما ، فـ ( نور ) الحقيقى مصاب بطعنة مُدْية فى ذراعه .

أسرع أحد الشبيهين يكشف عن ذراعه ، ويشير إلى جرح واضح فيه ، وهو يقول :

— ها هو ذا .

كشف الآخر عن ذراعه بدوره ، وهو يهتف :

— أنا أيضًا عندى نفس الجرح .. لقد اتخذ ذلك الوغد أهبته لذلك .

انتقلت الحَيْرة إلى الدكتور ( حجازى ) ، وهو يقلب بصره بين الجرحين ، قبل أن يغمغم فى يأس :



— يا إلهى !! .. هذا يزيد الأمر تعقيدًا ..

ران صمت ثقيل داخل الحجرة لحظات ، ثم قلب ( محمود ) كفيه فى حَيْرة ويأس ، وهو يقول :

— إنها مهمة مستحيلة يا رفاق .. كيف يمكن التفرقة بين رجلين ، يتطابقان فى كل شىء ، حتى فى ذاكرتهما .

وفجأة هتف أحد الشبيهين :

— يا إلهى !! .. شكرًا لك يا ( محمود ) .. لقد منحتنى خيط النجاة دون أن تدرى .

ثم استدار نحو الآخر ، أمام العيون الذاهلة ، وهو يقول فى سخرية :

— صحيح أنك تحمل ذاكرتى يا شبيهى ، ولكن تلك الذاكرة التى تحملها تتوقَّف عند اللحظة التى انتزعت فيها خليتك الأولى من جسدى ، أما بعد ذلك ، فستحمل ذاكرتك أحداثًا جديدة ، تخالف ما ستحمله ذاكرتى أنا .

لم ينجح شبيه ( نور ) فى إخفاء شحوبه ، وهو يغمغم :

— هراء .

ابتسم ( نور ) الحقيقى فى ثقة ، وهو يقول بتحدّ :

— لا بأس .. هل يمكنك أن تخبرنى كيف نجحت فى الهروب من زنزانتك الإليكترونية ؟

ارتبك شبيه ( نور ) ، وهو يغمغم :

ــ إنه أسلوب سخيف .. إننى أرفض هذا الـ ..

قاطعه ( نور ) ، وهو يلتفت إلى ( محمود ) ، قائلاً بابتسامة واثقة :

ــ هل رأيت يا صديقى ( محمود ) ؟ .. إنه لا يذكر شيئًا عن مستقطبك الليزرى .

تهللت أسارير ( محمود ) ، وهو يهتف فى سعادة :

ــ يا إلٰهى !! .. أنت ( نور ) .. أنت ( نور ) الحقيقى .

انتقلت سعادته إلى قلوب الجميع ، وألقت ( سلوى ) نفسها بين ذراعى زوجها الحقيقى ، وهى تبكى فى فرح ، وتهتف فى سعادة :

ــ حمدًا لله .. حمدًا لله يا ( نور ) .

أمّا شبيه ( نور ) فقد شحب وجهه فى شدة ، وهو يغمغم فى كراهية :

ــ ها قد فزت بكل شىء أيها الرائد .

التفت إليه ( نور ) ، وهو يقول فى حزن :

ــ كان يمكنك أن تفوز مثلى يا ( نور ) ، ولكن ..

قاطعه الشبيه فى حِدَّة ، وهو يلوِّح بذراعه :



ــ لا تحاول .. لقد خُلقت للفناء منذ منبتى من خليتك .. ألم أقل لك إننى أخالف قوانين الطبيعة .

اتسعت عينا ( نور ) فجأة ، وارتسم فيهما الذعر لحظة ، قبل أن يعود ليغمغم فى حزن :

ــ نعم يا جزءًا من جسدى .. أظن هذه هى الحقيقة ، وتحوَّل صوته إلى بحر من الحزن ، وهو يردف :

ــ لقد خُلقت للفناء .

★ ★ ★

نهض القائد الأعلى من خلف مكتبه متهلل الأسارير ، وصافح ( نور ) فى قوّة وحرارة ، وهو يقول :

ــ تقبَّل تهنئاتى أيها الرائد .. لقد نجَوْت هذه المرَّة أيضًا بفضل عبقريَّتك .

غمغم ( نور ) فى حزن :

ــ شكرًا يا سيِّدى .. ولكن كيف ستسير الأمور ؟

عاد القائد الأعلى يجلس خلف مكتبه ، وهو يقول فى حماس :

ــ لن يضار فريقك يا ( نور ) .. إن براءتك تعنى إسقاط كل التهم عن الآخرين ، فلن يدان الدكتور ( حجازى ) بتهمة

إختفاء هارب ، ولن يدان أفراد فريقك بتهمة معاونتك على الهرب ، وسنعيد النظر فى وسائل الأمن داخل الإدارة .. كل شىء سيسير على ما يرام ، ومرحبًا بك مرة ثانية بين صفوف المخابرات العلمية .

سأله ( نور ) فى مرارة :

ــ كنت أقصد كيف ستسير الأمور بالنسبة له ؟

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم سأله فى خفوت :

ــ هل يقلقك أمره ؟

أومأ ( نور ) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

ــ لا تنس أنه جزء منى يا سيِّدى .

مطَّ القائد الأعلى شفتيه فى أسف ، وهو يقول :

ــ لقد اعترف بكل شىء يا ( نور ) ، وأدين بتهمة الخيانة العظمى ، وسيعدم بالطبع .

ظهر الأسى على وجه ( نور ) ، وهو يقول :

ــ أما من وسيلة لتخفيف الحكم ؟

هزَّ القائد الأعلى رأسه نفيًا ، وهو يغمغم :

ــ القانون هو القانون يا ( نور ) .

رفع ( نور ) إلى قائده عينين ضارعتين ، وهو يقول :



ــ هل يمكن تأجيل موعد إعدامه لشهر واحد يا سيِّدى ؟

عقد القائد الأعلى حاجبيه فى حيرة ، وهو يقول :

ــ نعم يا ( نور ) .. هذا ممكن ، ولكن لماذا ؟

تردَّد ( نور ) لحظة ، ثم قال :

ــ إنه لم يخطئ ، حينما قال إنه قد خُلق ليفنى.يا سيِّدى ، وإن وجوده يخالف قوانين الطبيعة .. لقد تذكَّرت فجأة كلمة نطق بها الدكتور ( حازم ) ، مساعد الدكتور ( منصور ) ، قبل أن يلقى مصرعه .. لقد اندفع إلى حجرة أستاذه هاتفًا بعبارة ما ، بشأن الجرو الآخر ، الذى تمَّ إنباته من خلية مأخوذة من الجرو الأوَّل ، ولكن ( هشام ) لم يمهله ليتم عبارته ، ولقد تذكَّرت تلك الواقعة ، فسافرت صباح أمس إلى ( أسيوط ) حيث كشفت أن الجرو الآخر قد لقى مصرعه فجأة .

رفع القائد الأعلى حاجبيه فى دهشة ، وهو يغمغم :

ــ لقى مصرعه ؟ !

أومأ ( نور ) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزن :

ــ إنهيار خلوىّ يا سيِّدى .. لقد نما الجرو الآخر من خلية واحدة ، وبسرعة خارقة ، ولم تحتمل خلاياه ذلك النشاط الفائق طويلاً ، فلم تلبث أن انهارت تمامًا بعد أن استقرّ نموها ،

ولقى الجرو مصرعه ، وأعتقد أن هذا ما سيحدث لشبيهى أيضًا ، بعد عشرة أيام على الأكثر ، ولعل هذا أيضًا هو سبب اختلاف شخصيتينا ، على الرغم من أننا نعود إلى مصدر واحد .

ران الصمت لحظة ، ثم غمغم القائد الأعلى فى خفوت :

ـ هل تريد أن تجنّبه الإعدام يا ( نور ) ؟

أومأ ( نور ) برأسه إيجابًا ، وقال فى حزن :

ـ ستعدم خلاياه نفسها يا سيّدى .. وهذا أقل قسوة .. وأكثر رحمة بالجميع .

★ ★ ★





## ١٠ ـ الختام ..

تسلّلت أشعة الشمس الدافئة إلى حديقة منزل ( نور ) ، وداعبت وجه ( نور ) ، الذى استرخى فى مقعد قماشى ، يتطلّع بعيدًا فى شرود ، واقتربت منه زوجته ( سلوى ) ، ووضعت كفها على كتفه ، وهى تغمغم فى رِقّة وحنان وحزن :

ـ لقد انتهى الأمر يا ( نور ) .

التمعت فى عينيه دمعة حزينة ، وهو يقول دون أن يلتفت إليها :

ـ متى ؟

أجابته فى إشفاق :

ـ منذ ساعة واحدة .. انهارت خلاياه فجأة كما توقّعت ، ولقى مصرعه فى هدوء .

سالت من عينيه دمعة صامتة حزينة ، رقّ لها قلب زوجته ، وهى تجلس إلى جواره ، مغمغمة فى عطف :

ـ كانت هذه هى نهايته الحتميّة .. أليس كذلك ؟

أومأ برأسه إيجابًا فى صمت ، فعادت تقول :

ـ هل تشعر بالحزن من أجله ، بعد كل ما فعله بك ؟

أجابها فى حزن شديد :



واقتربت منه زوجته ( سلوى ) ، ووضعت كفها على كتفه ، وهى تغمغم فى رقّة وحنان وحزن :

ـ لقد انتهى الأمر يا ( نور ) .

ـ إنه جزء من جسدى يا ( سلوى ) ، وشعورى نحوه يشبه شعور الأب نحو ابنه .

صمتت فى حزن مشابه ، وطال صمتها لحظات ، قبل أن تغتصب هى ابتسامة ، وتقول :

ـ هل تعلم أن ( مشيرة محفوظ ) قد رفضت رفضًا باتًا إذاعة البيان ، الذى يطالب المواطنين بالابلاغ عنك ؟

ابتسم ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ عجبًا !! .. ألا تشعرين بالغيرة لذلك ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ـ نعم ، خاصةً بعدما أبلغنى به ( رمزى ) منذ لحظات .

جذبت عبارتها انتباهه ، فالتفت إليها يسألها فى اهتمام :

ـ وما الذى أبلغك به ( رمزى ) ؟

تألّقت ابتسامة خبيثة على شفتيها ، وفى عينيها ، وهى تقول :

ـ خمّن !! ..

ثم أطلقت ضحكة مرحة رقيقة ..

★ ★ ★

ابتسمت ( مشيرة محفوظ ) ، صحفيّة أنباء الڤيديو

الشهيرة ، وهى تستقبل ( رمزى ) ، وصافحته فى حرارة ، وهى تقول :

— مرحبًا بك فى ( أنباء الڤيديو ) يا ( رمزى ) ، كيف حالك ؟ .. وكيف حال ( نور ) بعد إثبات براءته ؟

ابتسم ( رمزى ) وهو يقول :

— الجميع فى خير حال يا ( مشيرة ) ، ويبلغونك شكرهم وامتنانهم .

رفعت حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

— شكرهم وامتنانهم ؟!

ثم ضحكت فى رِقّة ، وهى تستطرد :

— وماذا فعلت لأستحق ذلك ؟

أدهشتها تلك النظرة الحانية ، التى ارتسمت فى عينيه ، وهو يقول :

— ألا يكفيك أنك قد رفضت إدانه ( نور ) منذ البداية ؟!

شعرت بدماء الخجل تتصاعد إلى وجنتيها ، فاسترسلت تقول :

— إننى لم أفعل سوى ما أومن به يا ( رمزى ) .. إننى لا أفعل دائمًا إلّا ما أومن به .



مرة أخرى أدهشتها نظرته ، ودفعت دماء الخجل إلى وجنتيها ، وهو يهمس فى حنان :

— هذا هو أروع ما فيك يا ( مشيرة ) !!

خفت صوتها حتى بات أقرب إلى الهمس ، وهى تسأله :

— ماذا تريد بالضبط يا ( رمزى ) ؟

نهض من مقعده ، وتقدَّم نحوها ، وتطلَّع إلى عينيها مباشرةً ، على نحو بعث فى جسدها رَجْفَة قوّية ، وهو يقول :

— ( مشيرة ) .. لقد حرصت منذ تعارفنا على أن أخفى عنك حقيقة مشاعرى ، ولكننى ، وبعد موقفك من اتهام ( نور ) ، قرّرت أن أصارحك بالأمر .

وامتلأ صوته بحنان وحب جارفين ، وهو يهمس :

— هل تقبلينني زوجًا يا ( مشيرة ) ؟

تصاعدت دماء الخجل هذه المرّة لتغمر وجهها كله ، وشعرت بقلبها يخفق فى قوّة ، وهى تهمس :

— هل يعنى هذا أن أنضمّ لفريق ( نور ) ؟

ابتسم وهو يهمس فى حُبّ :

— بل إلىّ وحدِى ..

صمتت ، وصمت ، وكان صمتهما أبلغ من أى حديث ..

وكان هذا هو التغيير الوحيد الذى حدث فى حياة ( نور ) وفريقه ، بعد انتهاء عملية ( العدوّ الخفىّ ) ..

★ ★ ★

[ تمت بحمد الله ]



رقم الإيداع ٣٢١٥